١٩٩٧

مكتبة نوبل

داريو فو

موت فوضوي صدفة



ترج ... الأسدي



مكتبة نوبل

Author : Dario Fo	اسم المؤلف : داريو فو
Title: A Death of an Anarchist by Accident	عنوان الكتاب : موت فوضوي صدفة
Translator: Tawfik Al-Assadi	ترجمة : توفيق الأسدي
Revised by: Nabil Al-Haffar	مراجعة : نبيل حفار
Al- Mada : P. C.	الناشر : المدى
First Edition 1987	الطبعة الأولى : ١٩٨٧
Second Edition 1999	الطبعة الثانية : ١٩٩٩
Copyright © Al-Mada	الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا – دمشق صندوق بريد . ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٢٧٧٦٨٦٤ – ٢٣٢٢٢٧٥ – ٢٣٢٢٢٧٦ – فاكس . ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada : Publishing Company F.K A. Cyprus

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366

Tel: 2776864 - 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

١٩٩٧
مكتبة نوبل

داريو فو

موت فوضوي صدفة

ترجمة
توفيق الأسدي

مراجعة
نبيل حفار



مسرح الهجاء الملحمي

عند داريو فو

ترجمة: حاتم عقيل

على الرغم من الشهرة العالمية الواسعة التي يتمتع بها داريو فو ، حيث قدم عرضه «ميستريو بوفو» أكثر من ألف مرة في ايطاليا وحول العالم ، لم يسمح لفو أو لزوجته الممثلة «فرانكا رامه» بسبب ميولهما اليسارية ، بالدخول إلى الولايات المتحدة حتى عام ١٩٨٥ . وكانت وزارة الخارجية الأمريكية قد رفضت منح فو ورامه تأشيرة دخول مرتين ، في عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٤ ، معتمدة في رفضها على «فقرات الإبعاد الايديولوجي» في قانون الهجرة ، الصادر في العهد المكارثي . كما استندت على عضوية فو في منظمة «المساعدة الحمراء» التي تقدم مساعدات قانونية للسجناء السياسيين ، كدليل على أن فو ورام «مشجعون للإرهاب» ومع ذلك فقد تم منحهما تأشيرة دخول لمرة واحدة فقط للولايات المتحدة في تشرين التاني عام ١٩٨٥ ، وهذا مما مكن فو من حضور التمارين النهائية لعرض برودواي لمسرحيته «موت فوضوي صدفة» والذي لم يستمر طويلاً .

وفي أقل من أسبوع ، كان فو وزوجته على طائرة العودة الى ايطاليا ، وذلك بعد أن أعربا عن أملهما «بالعودة لملاقاة الفنانين المسرحيين ، ولتقديم العروض وتبادل الأفكار» .

وتحققت هذه الأمنية في أيار ١٩٨٦ عندما تمكن فو وفرقته من السفر

إلى الولايات المتحدة لتقديم جولة مدتها ستة أسابيع في ست ولايات أمريكية ، وذلك أثر حملات كثيرة مطالبة بقدومه قامت بها الجماعات التحررية والثقافية في أمريكا وأوربا .

نشرت مجلة «المسرح الأمريكي» في عددها الصادر في حزيران ١٩٨٦ هذه الدراسة عن داريو فو بمناسبة زيارته للولايات المتحدة ، كتبها «رون جينكيز» وهو أستاذ مساعد للمسرح في كلية أمرسون ، ومترجم لمسرحيات فو إلى الانكليزية ، كما أن له بحثاً ضخما حول مسرح داريو فو قدمه لصالح جامعة هارفارد .

يستعمل داريو فو مساحيق التجميل نفسها التي استعملها هارليكان في القرن السادس عشر ، إلاّ أن ملامحه لا تشابه وجوه شخصيات الكوميديا ديلارتي النظيفة والجميلة ، وذلك لأن مفهوم فو عن المهرج هو أنه فج ، وعنيف وغير مهذب . كما تعكس الخطوط المتعرجة للقناع الداكن الذي يضعه فو على وجهه تصوره عن التهريج كونه تعبيراً بدائياً عن حاجات الانسان الأساسية .

يقول فو : «المهرجون الحقيقيون ، منذ اريستوفان وحتى موليير ، كانوا مشغولين على الدوام بحالات الجوع الأساسية . ليس فقط الجوع للطعام والجنس ، وإنما كذلك الجوع للكرامة ، والجوع للسلطة ، والجوع للعدالة» . يقول فو هذه الكلمات بينما كان يُجهّز نفسه للصعود على الخشبة لأداء دور المهرج هارليكان في مسرحيته الأخيرة : «هارليكان ، آرلكان ، آرلكينو» ، التي يقوم فيها بالغاء تام للشخصية المعروفة باعتبارها النمط الواضح للبهلوان ذي اللباس الناعم المزدان بأشكال المعينات . ويؤكد داريو فو في كتاباته كما في أدائه على الجوانب الشيطانية والبدائية التي تقدمها هجائيات المهرج . ولذلك نجد أن لباسه المُمزق والمُغطى بأشكال تشبه ورق الشجر يعطيه مظهر انسان متوحش من ساكني الغابات . إن حوار

مهرج فو بذيء وقاس ، ومواضيعه تتنوع من الحديث عن أعضاء ذكورة عملاقة الحجم إلى سياسة ايطاليا الدفاعية . ويعلق فو على هذا التفسير لشخصية هارليكان بقوله : «هكذا كان أسلوب هارليكان قبل أن يجمله الكُتّاب المسرحيون من أمثال غولدوني . أسلوب هارليكان قبل أن يخصوه» .

ويعتبر فهمنا لتصور فو عن هارليكان أساسيا لمعرفة الدوافع والمؤثرات الكوميدية المستخدمة في كل أعماله المسرحية ، بما فيها تلك التي يستعمل فيها جوا مسرحيا معاصرا مثل «موت فوضوي صدفة» . و«لا تدفع الحساب!» . لذا وجد الممثلون والمخرجون الأمريكيون مشكلة في محاولتهم فهم رؤية فو الكوميدية المعقدة ، لأن معظمهم يعرفون فو من خلال النصوص المعدة عن مسرحياته فحسب . إلا أن مسرحيات فو لا تنفصم عن الشخصيات التي يؤديها هو على المسرح . وكل محاولة لتقديم مسرحياته بدون الاستفادة من تقنيته في الأداء تماثل محاولة اعادة تمثيل أفلام تشارلي شابلن عن طريق تمثيل عناوين أفلامه فقط .

ويقول فو عند سؤاله عن السبب الذي جعله يختار شخصية هارليكان كبطل لمسرحيته الجديدة : «لقد كنت أمثل شخصية هارليكان طيلة حياتي المسرحية . وكل الشخصيات التي لعبتها كانت على النغمة نفسها . إن هارليكان شخصية تحطم كل الاصطلاحات والأعراف . وتعتمد شخصيته وحسه الأخلاقي على التناقض . إنه يأتي من العدم وبمقدوره أن يحول نفسه لأي شيء» .

وتتبدل تعابير وجه فو المطاطي وهو يتابع حديثه عن الصفات الخيالية للمهرج ، وكأن وجهه وجه طفل . وبالرغم من أن شعره الرمادي بدأ بالتقلص إلى الوراء ، كما بدأ كرشه بالتكور تحت ثيابه ، فان فو ينشر حوله طاقة كبيرة من حيوية الشباب . وتساعده هذه الطاقة كثيرا في تأديته للأدوار التي

تتطلب جهدا جسديا ، مثل دور «المجنون بالتمثيل» في «موت فوضوي صدفة» والذي يغير شخصيته بين كل مشهد وآخر .

ويشرح فو التشابه في مراميه الكوميدية بين مسرحيتي هارليكان وموت فوضوي صدفة مستخدما استعارات من التجارب العلمية بقوله : «مسرحياتي مثيرات تحريضية تماما مثل الوسيط الكيميائي في التفاعلات الكيميائية . فاذا أردت أن تعرف ما هي العناصر التي تؤلف سائلا أو محلولاً ما ، نضيف إلى الأول سائلاً آخر . وعندها قد يصبح لون المزيج أزرق ، أو قد يغلي ، أو يتغير ، معطياً ناتج التفاعل . أنا أفعل الشيء ذاته كمهرج . وكل ما أصنعه هو أني أضع بضع قطرات من العبث في هذا المحلول الهادئ الساكن ، والذي هو المجتمع ، فيكشف التفاعل عن أشياء كانت مخبأة قبل أن يخرجها العبث إلى العراء» .

ومصدر تجارب فو العبثية في «موت فوضوي صدفة» كان التغطية الصحفية لموضوع وحشية سلوك الشرطة في الصحف الايطالية أثناء كتابة المسرحية . يقول فو «كنت مشغولا بقضية العدالة . لقد لاحظت أن فعلا اجراميا قد ارتكبته الدولة ، ولكن الناس كانوا يتقبلون نتائج التحقيقات الرسمية بهدوء . وعندما أضفت شيئا من العبث إلى الموضوع ، أصبحت الكذبات جلية وواضحة : يلعب مجنون دور القاضي مستخدما كل منطق السلطة وتطرفها ، إلى أن يكتشف وجود متناقضات . فمثلا لو أن شهادة الشرطة كانت صحيحة ، لكان من المفروض أن يكون للجاني ثلاثة أرجل . ويستخدم المهرج المجنون هذا التناقض ليؤسس حقيقة الوضع ، وليصبح العبث شكلا من التفكير المنطقي الذي يعتمد على المفارقة» .

كتب داريو فو - وهو الآن في الستين من عمره - حوالي أربعين مسرحية ، ترجمت وقدمت في أكثر من ثلاثين بلدا وكتبت هذه الأعمال في الأصل ليؤديها فو مع فرقته التي تشارك فيها فرانكا رام زوجته ومعاونته منذ

اثنين وثلاثين عاما . وكان فو قد بدأ حياته المسرحية بالعمل في الاذاعة الايطالية وفي عروض للميوزيك هول في بداية الخمسينيات ثم قدم بعد ذلك بالاشتراك مع زوجته مسلسلا هجائيا في التلفزيون لاقى شعبية كبيرة إلى أن أجبرهما التدخل المستمر للرقابة على الاستقالة ، كما قام فو باخراج أوبرا على مسرح «لاسكالا» وهو يحضر حاليا نسخة سينمائية عن مسرحيته «لا تدفع الحساب» .

ويعرف فو بالنسبة للكثيرين (في أمريكا) باعتباره هجّاءً سياسيا الا أن هذه الصفة تبدو تبسيطا كبيرا لتهريج فو الملحمي الواسع والمتعدد الأبعاد . وينسج فو في تهريجه الملحمي القضايا التاريخية والدينية والاجتماعية والسياسية معا ، مُنتجا عرضا كوميديا ذا جاذبية شعبية وفكرية . وكثيرا ما يشير فو ، في ورشات العمل التي يقوم بها وفي محاضراته ، إلى مسرح برتولت بريشت الملحمي... إلا أن مصادره المهمة ترجع أبعد من ذلك بكثير إلى عصر النهضة الأوربية ، وإلى تقاليد القرون الوسطى .

واذا ما كان لعرض واحد فقط أن يجسد جوهر تهريج فو الملحمي ، فان ذلك العرض هو «ميستريو بوفو» بدون شك . وهو عرض فردي رائع يقدم فيه فو مجموعة من الأساطير الانجيلية وقصصا من تاريخ الكنيسة بأسلوب شاعر القرون الوسطى المتجول التروبادور أو «الغويّار» وتعني الترجمة الحرفية لعنوان العرض : «عروض الميستير (الأسرار) الكوميدية» . ويتألف العرض من سلسلة من الحكايا المتقطعة من الممكن أن تستمر لمدة اثنتي عشرة ساعة فيما لو مثلت بشكل متواصل . وتعد مسرحية «ميستريو بوفو» رائعة داريو فو المسرحية . فهي تُؤمّن مفتاحا لفهم تقنية فو غير المألوفة والتي بدون فهمها لا يمكن بعث الحياة في مسرحياته ذات الشخصيات الكثيرة . ويثير فو في تمثيله الفردي في كل قصة يؤديها دفقا ايقاعيا يتشابه اندفاع موسيقى الجاز المُرتجله ، ووضوحا

سريع الالتقاط كما في العناوين الرئيسة للصحف ، وبُعدا اجتماعيا كالذي نجده في الروايات التاريخية .

ومع أنه بالامكان ملاحظة روح ماركسية لعرض «الميستريو بوفو» إلا أن التعبير عن تلك الروح يأخذ شكلا أكثر اتزانا من الكاريكاتيرات السياسية التي غالبا ما نجدها في محاولات الاعداد التجارية لمسرحيات داريو فو في الولايات المتحدة . وتتضح توجهات فو السياسية ببراعة وقوة في قلب البنية الكوميدية لأعماله المسرحية . حيث يبدع فو قصصا تتركز على موضوع التوتر الحاصل بين الحرية والتعسف ، بدلا من الاعلان الصارخ والمباشر عن معارضته للظلم الاقتصادي . ثم يوزع ذروات العمل الكوميدية بحيث تتوافق مع تحرر الضحية من العبودية . وهكذا يرتبط الضحك في ذهن المتفرج آنيا مع هزيمة الطغيان .

«أنا لا أهتم بالسياسة قدر اهتمامي بالعدالة» ـ يقول فو الذي يرفض دائما أن يرتبط اسمه بأي حزب سياسي ـ ما آمل أن أفعله هو أن أورّط الجمهور في الاحساس بالسخط ضد الظلم وأنا أفعل ذلك ليس عبر ما يشبه المنشورات السياسية ، وإنما عبر تسلية تتصف بشيء من الرفعة والأناقة» .

وتتضح الصلة بين ايقاع عروض فو وبين احساسه بالسخط الأدبي بملاحظة أحد فصول ، «الميستريو بوفو» ، وعنوانه : «ولادة الغويّار» وهو يحكي قصة أسطورية عن أول مشاعر غويار ، من خلال سرد المعجزة التي أعطت شاعر التروبادور هذا موهبة رواية الحكايا . وبما أن فو يعتبر نفسه غويارا معاصرا ، فيمكن رؤية القصة على اعتبارها نوعا من الشعر الذاتي حول فن المهرج الملحمي» .

ويبدأ فو المشهد كممثل جوال يحاول جمع حشد من المتفرجين في ساحة في العراء ، وهو يدور بجسده بحيوية عظيمة ويتحرك في فضاء الساحة بنشاط كبير وكأنه طفل وقد أفلت ليلعب في الشارع ـ لا يحده شيء . ثم

يصرخ مناديا جمهوره بنشوة وبسيل لا يتوقف من الكلمات المأخوذة من مختلف اللهجات الايطالية . ولكن ما إن ينجح في جذب انتباه الجمهور حتى يقطع فجأة سيل الكلمات والأصوات والحركات ، ويخلق لحظة صمت من الاتصال الحميمي مع الجمهور من خلال النظر : «أنا لم أكن دوما غويارا» يخبرهم بلهجة اعتراف «لقد كنت فلاحا ، مزارعا ، ولكني سأقص عليكم كيف حدث أني أصبحت غويارا» .

ويجسد فو لجمهوره في سلسلة من الاسترجاعات المسرحية (الفلاش باك) ذكرياته الأليمة حول الاهانات التي قاساها الفلاح على أيدي كل من أصحاب الأرض الفاسدين ، ورجال الدين ، وموظفي الحكومة البيروقراطيين . ويلعب فو أدوار كل الشخصيات معبرا بحيوية فائقة عن إحساس الفلاح المتعاظم بالاحباط في كل لقاء جديد له مع السلطة . فرجل الدين يحاول أن يخدعه ليطرده من أرضه عن طريق ترديد قسري للصلوات . إلى أن يقوم الفلاح أخيرا بانتقامه المنتظر كالعادة برفسة تقليدية قوية وجميلة على مؤخرة رجل الدين . ويتكرر الترتيب الأساسي نفسه في التعسف والاحباط ثم الغضب والحرية عند مواجهة الفلاح مع الوجيه المحلي . ولكن عندما يغتصب صاحب الأرض ورجاله زوجة الفلاح ، يتحول المشهد إلى أن يصبح قاتما ومعبأ باليأس والاستسلام .

وما أن يعد الفلاح العدة كي يشنق نفسه حتى يوقفه رجل نحيل يطلب شربة ماء . إنه يسوع المسيح ، وهو يثني على الفلاح لمقاومته طغيان السلطة ، ويشير عليه أن يشارك قصته مع الآخرين ، ليلهمهم كي يفعلوا الشيء ذاته . ولكن الفلاح يعترض قائلا بأنه لا يحسن الكلام وأنه وضيع العقل ، وملتوي اللسان   وردا على ذلك ، يقبّل المسيح الفلاح على شفتيه ، مانحا إياه موهبة رواية الحكايا التي ستجعله قادرا على إثارة الضحك والفهم في جمهوره .

ويمتل فو معجزة السيد المسيح باحساس رائع ومفعم بالموسيقية . فما إن يتحول الفلاح إلى غويار حتى تتدفق الكلمات من فمه وكأنها ماء يتفجر من نافورة بقيت مسدودة لسنوات عديدة ، وتطوف يداه في الهواء بحركة معبرة وكأنهما طواحين هواء ، لا يمكن لأية قوة أن توقفها . ويبدو انتصار الحرية على الطغيان جليا في كل حركة وفي كل صوت . وعندما يبدأ الغويار انتقاده الشرس لصاحب الأرض بلسان غدا حادا كالسيف ، يتضح أن المشهد انتهى حيت بدأ في الأصل . فالغويار ينادي من جديد لجذب انتباه جمهور الساحة ، ولكن أفعاله الآن تخفق بالإحساس بالسخط وبذكريات الظلم الذي عاناه .

وفي «ولادة الغويار» ، كما في كل أعمال فو الأخرى تعكس النغمة الكوميدية ايقاعات الثورة .

ومتال آخر على أن الجماليات في مسرح فو تعكس آراءه السياسية ، يمكن رؤيته في طريقة سرده للقصص ، التي تتغير باستمرار حسب تغير وجهات النظر التي ينقل القصة عبرها . وحتى في عرض فردي مثل «ميستريو بوفو» يستغل فو وجهات نظر الشخصيات المتعددة ليؤكد على النتائج الاجتماعية للسلوك الفردي . ففي عالم تهريج فو الملحمي لا تجد حوادث معلقة في الفراغ . إن التغير السريع للمنظور المسرحي الذي يقدمه فو ببراعة فنية يخلق تأثيرا كوميديا جيدا ، إلا أنه يفيد أيضا في ايضاح الصلة بين الشخصيات وبيئتها ، بين الأحداث الحالية وسابقاتها التاريخية ، وبين الأحلام الفردية والتحديدات التقافية .

ويقدم فو حكاية «إحياء لعازار» من وجهة نظر الجماهير ، لذا يغدو دور المسيح ثانوياً مقابل أدوار الفلاحين والشغيلة ، وقد أتوا إلى المقبرة كي يشهدوا المعجزة . ويتحول فو بمفرده ليصبح كل وجوه الجموع المتدفقة ، ليصبح بائع السردين ينادي على بضاعته ، والجثة التي أكلها

الدود . ويزيل فو عن المعجزة شكلها العجائبي بتقديمه إياها وكأنها فصل من التاريخ الشعبي ، أو كرنفال من المتناقضات البشرية ، بدلاً من كونها تسجيلاً للقدرة الالهية .

وبينما يقوم فو بأداء كل الشخصيات متنقلاً من شخصية الى أخرى ، فانه يوحي لجمهوره بأنهم يرون فيلما اخباريا سينمائيا عن عملية الاحياء ، بكل القطعات السريعة ، وتغيرات زوايا الكاميرا المتعددة ومع أن تقنية فو غير المألوفة هي المعادل المسرحي للمونتاج السينمائي ، فإن مصادره تعود في التاريخ إلى مراحل أقدم بكثير من تاريخ صناعة السينما . فاستخدام المونتاج في تهريج فو الملحمي كانت قد ألهمته لوحات الفريسك القديمة التي تعود إلى القرون الوسطى ، كما أن إيحاءاته ملأى بالاشارات إلى اللوحات القديمة .

ويعترف فو بذلك بقوله : «لقد درست حركة الكاميرا في السينما ، ولكن ما أحاول خلقه فعلا هو التأثيرات التي استخدمها فنانو القرون الوسطى في عروض الميستير (الأسرار) . وعندما يروي الرسامون قصة يكونون خارج اللغة . إنهم لا يقدمون رؤية شخص واحد فقط ، بل وجهات نظر متعددة . فقد كانت عروض مواكب الأسرار المقدمة في القرون الوسطى تقدم مشاهد متنوعة من حياة السيد المسيح ، فيرى الناس أفعال يسوع ، والسيدة العذراء ، والشياطين ، وإلى ما هنالك... وعندما صمم الرسامون بعدئذ لوحاتهم في الفريسك أعادوا بصورة ميكانيكية ما قد رأوه في مسرح الاحتفالات الدينية . فالرسامون يظهرون المواكب من منظورات مختلفة : المشهد نفسه من الأمام ، من الخلف ، ومن بعيد . إن تقنية السينما لم تولد مع اختراع الكاميرا ، فقد عرفها واستخدمها الرسامون والحكواتية قبل ذلك بمئات السنين» .

وأهم سلاح في ترسانة المهرج الملحمي هو قدرته على تأسيس اتصال

حميمي مع جمهوره . وفو قادر دوما على جذب الجمهور لسماع قصصه وكأنه معهم يروي حديثا شخصيا ، وذلك حتى ولو كان يمثل في مسرح يتسع لألف مقعد . وينبع هذا الدافع إلى انشاء العلاقة الحميمة مع الجمهور مثل كل مبادئ فو الجمالية ، من ايديولوجيته الخاصة . فهو يحترم ذكاء الناس الذين يمثل لهم ، ويعبر عن ذلك الاحترام برفضه أن يبعد نفسه عن الجمهور بصفته سيدا مسرحيا أو حكواتيا خبيرا .

كما يستخدم فو في عروضه عددا من الوسائل لكسر ذاك البعد بين خشبة المسرح والجمهور . أو حسب قوله : « لتحقيق البعد عن الطبيعة الخرقاء » . فشخصياته توجه خطابها مباشرة إلى الجمهور وكأنها في حالة اعتراف ، وكثيرا ما يوقف فو العرض لكي يؤدي ارتجالات معينة غرضها الاشارة إلى حوادث تجري وقتئذ في المسرح . كما يشرك فو استجابات جمهوره في تعزيز البنية الايقاعية لعرضه ، حيث يقوم بشكل دائم بتعديل النصوص الأصلية لمسرحياته حسب استجابات الجمهور المختلفة في كل عرض .

يقول فو : « جمهوري هو شريكي في المؤامرة ، وتتشكل نصوص أعمالي وتتغير حسب استجابات الجمهور . إنهم يساعدونني في خلق ايقاعات المسرحية باعطائي اشارات تعني : أنا أفهم - برافو - لقد امتعتني - لم تمتعني - ماذا تريد أن تقول ؟ . إن الجمهور يتحدث اليك بحوار لا يتوقف طيلة العرض ، وهو يعبر عن ذاك الحوار بالضحك ، بتدخلاته وبملله . لدى أفراد الجمهور ألف طريقة كي يجعلوك تعرف رأيهم في العرض » .

ويبدأ فو باشراك جمهوره « في مؤامراته » في مقدمات مسرحياته ، حيث تبدأ كل مسرحياته الطويلة وكل فصل من « المستيريو بوفو » بمناقشة غير متكلفة حول أصل العرض . وتعطي هذه المقدمة فو فرصة تأسيس اتصال مباشر مع الجمهور . فمتلا في عرض مثل « بونيفاشيو التامن » يستغل فو

المقدمة لايجاد صلة بين التاريخ والحوادث المعاصرة ، فيقتبس من افتتاحيات الصحف التي تتحدث عن البابا الحالي في المواضيع نفسها التي سيتحدث العرض فيها هجائيا عن بونيفاشيو .

يقتبس فو عن أحد الكُتّاب قوله : « إن البابا هو نقيض السيد المسيح » ثم يعلق قائلا : « لقد ترفَع المسيح عن الممتلكات الأرضية ، ولكن البابا يعيش في قصر . وعَرَض الشيطان على المسيح أن يمنحه القوة ليطير في الهواء حول العالم ، فقال له المسيح : لا ، ولكن البابا يقول : نعم » - ويلحق فو الطرفة الأخيرة بأداء ايمائي للبابا وهو يحمل حقيبته الملأى ، وهو على استعداد دائم ليركب الطائرة إلى مكان آخر من العالم . وبعد أن يدخل فو جمهوره في مقدمة العرض الكوميدية ، والملائمة للقضايا التي يريد طرحها ، يبدأ بأداء الحكاية الأصلية ، والتي يتقابل فيها بونيفاشيو - البابا القادم من القرون الوسطى - مع السيد المسيح . ويستفيد فو من العلاقة الحميمة التي أسسها في المقدمة ليصل بالجمهور إلى رؤية نقدية لبيرقراطية الكنيسة . ويقول فو عن الدوافع الكامنة وراء استخدام المقدمة : « أريد أن أخلق لحظة من التضامن . أريد أن أجعل الجمهور يعرف أننا نناضل معاً ، من أجل شيء ما ، وفي جو من المشاركة التآمرية » .

وبعد أن أتقن فو تقنية التهريج الملحمي عبر تأديته للنسخ العديدة من « الميستريو بوفو » ، بدأ بتصميم نصوصه الطويلة والتي تتطلب مشاركة عدد من الممثلين ، معتمدا على الأسلوب الملحمي . ففي عام ١٩٨٥ طافت فرقة فو ايطاليا لتقديم كوميديا تاريخية تدور حول العلاقة بين الملكة اليزابيث الأولى وشكسبير . ومن جديد يؤسس فو علاقة حميمة في المقدمة التي تقارن بشكل كوميدي أساليب الملكة مع الأساليب التي تتبعها الشرطة الايطالية في العصر الحالي . ويقدم فو رؤية العامة حول تلك القصة الملكية باضافته شخصية خادمة الملكة إلى العرض ، ويقوم هو نفسه بلعب ذلك

الدور . ولا تعدو هذه الكوميديا (المسماة اليزابيتا) أكثر من عرض «فارس» جيد ، يمكن أن يكون ذا فائدة مثل كثير من نصوص فو . ولكن اذا أحييناها باضافة تقنية المهرج الملحمي في الأداء ، تتحول المسرحية إلى هجاء عنيف للمؤامرات والمطامع وسياسة الجنس .

ونرى في مسرحية «اليزابيتا» مرايا داخل مرايا . فالملكة تعتقد أن هاملت هو صورة هجائية منقولة الجنس عنها بصفتها حاكما مترددا . ويعزز فو هذا الاعتقاد عندما يؤدي كل الشخصيات في نسخة مُقلصة عن «هاملت» مدتها دقيقتان . وهو يصور الملكة اليزابيث كحاكمة قوية تسيطر على الرجال ، وكضحية ضعيفة لثقافة يسيطر عليها الرجال ، في ان معا . ومن ناحية أخرى فان الخادمة أمينة إلى أنوثة اليزابيث ،ولكنها تتحدى طغيانها . وتتضاعف التعقيدات في المسرحية بملاحظة أن فو رجل يمثل دور امرأة تخدم امرأة أخرى يجب عليها أن تسلك سلوك الرجال كي تحافظ على سلطتها . وتجسد شبكة المتناقضات هذه صفة أخرى يؤمن فو بأنها أساسية لنجاح المهرج الملحمي : المفارقة . أن ما يميز المهرج الملحمي عن الممثل العادي ـ حسب قول فو ـ هو كمية المفارقات التي يعرف المهرج كيف يعبر عنها من خلال جسده ، وصوته وعنفه الكوميدي .

وفي الجزء الافتتاحي من «المستيريو بوفو» يأخذ فو بالتعبير عن المفارقة إلى أقصى درجة . وهذا الجزء يختزل ـ أكثر من أي مشهد آخر ـ فكرة فو عن المهرج الملحمي كتعبير عن حالات جوع الانسان الأساسية ، والمفارقات التي تتمخض عنها هذه الحالات . وتدور الحكاية حول فلاح جائع جدا لدرجة أنه يبدأ بأكل لحم جسده هو نفسه . اذ تبطل غريزة تدمير الذات عنده غريزة حب البقاء ، بينما يلتهم الفلاح أعضاء جسده حتى لا يبقى من جسده سوى فم يحاول بلا جدوى أن يبتلع ذاته إلى العدم .

ويحوِّل فو السيناريو الغروتسكي إلى استعراض كوميدي للعضلات

معتمدا في ذلك على العناصر الأساسية للتهريج الملحمي - ويؤسس حوار المقدمة حالة تعاطف الجمهور مع الفلاح ضحية المجاعة وبعدما يهدد الفلاح الجائع بأنه سيأكل الله والجمهور كي يشبع جوعه ، يستخدم فو خدعة المؤثرات السينمائية لينتقل من معاناة الشخصية إلى خيالاته وأحلامه بمطبخ عملاق مليء بكل أنواع المأكولات التي يتخيلها هذا الفلاح ويصدر فو أصواتا بفمه تشبه ايقاعات الجاز ، كأنها حساء يغلي أو يخنة تزقزق أو مرقة تبقبق .

بعد ذلك يحدث قطع مفاجئ للحلم السار وعودة من جديد إلى ألم الجوع الكئيب . ولكن وكأن إلهاما ما أجفل الرجل ، فيلتقط ذبابه ، ثم يبدأ بأكلها قطعة إثْرَ قطعة ، إلى أن يشرق وجهه وكأنه نهم أكول يستمتع بوجبته المفضلة ، فيعلق السائل على جناحي الذبابة وكأنه صلصة نفيسة فاخرة ، ثم يتجشأ ملقيا آخر كلماته : «يا لها من وليمة» . إن فو يقدم لنا المعجزة اللادينية لرجل جائع وقد وجد طعاما ، وذلك بالسهولة نفسها التي يزيل فيها غموض المعجزات الرسمية للكنيسة . وبالطريقة نفسها التي يطعم المسيح فيها الفقراء بخمسة أرغفة خبز وسمكتين ويحول السحر المسرحي للمهرج الملحمي الحرمان إلى وليمة . وبحكاية بسيطة كهذه عن الأكل والمجاعة ، يبرهن فو على الصلة بين الحاسة الكوميدية وبين الجوع للحياة والبقاء .

***

موت فوضوي صدفة

١ - عن المؤلف:

داريو فو واحد من أكثر كُتّاب المسرح الايطاليين شعبية ونجاحا . وهو أيضا ممثل ومخرج ومصمم رقصات وديكور وأزياء ورسام وفنان تخطيطي وشاعر ومؤلف موسيقي وباحث ومنظم اجتماعي وذو نشاط سياسي فعال . إن مثل هذا التنوع والتعدد الاستثنائي يماثل ما نعرفه عن المثل الأعلى للفرد المثقف في القرنين الخامس والسادس عشر . وقد لا يبدو مدهشا أن فو من بلد أنجب المفهوم الشعبي عن « رجل عصر النهضة » . وعلى أية حال ، فان عمله ينبع أساساً من الشروط الخاصة للمجتمع الايطالي المعاصر ، ويعكس التوترات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العميقة التي ميزت ذلك المجتمع منذ سقوط النظام الفاشي .

ولد فو في عام ١٩٢٦ لأسرة من الطبقة العاملة من شمالي مقاطعة لومبارديا ، فورث من بيئته المباشرة أمرين : القناعة السياسية الديمقراطية جدا والمعادية جدا للفاشية أيضا ، وكذلك حب الدراما الشعبية على شكل حكايات ذات خيال خصب جدا يخترعها سكان البلدة المحليون ويروونها على الفور . حين كان لايزال صبياً ، أظهر موهبة متميزة في الرسم ، وقد

أرسل ليدرس الفن في «أكاديميا بريرا» الشهيرة في ميلانو . وعلى أية حال ، فان جو الاضطراب والفتنة السياسية الذي ساد ايطاليا خلال الفترة التي تلت تحرير ايطاليا من الفاشية والاحتلال الألماني ألهمته أن يصبح مشاركا على نحو مباشر في الحياة الجماعية للمدينة . وبعد سنوات قليلة من دراسة فن العمارة في الجامعة ، فإن اهتمامه المتنامي في التصميم والديكور المسرحيين ، وكذلك موهبته في السرد الكوميدي الارتجالي ، قد قاداه إلى المسرح . وبعد ظهوره لأول مرة في أدوار صغيرة في عروض موسيقية تافهة ، كتب وأخرج بالتعاون مع غيره عرضي «ريفو»[1] هجائيين لقيا نجاحا كبيرا ، وقد تم تقديمهما بأسلوب تجريبي مشابه لاسلوب الكاباريه . هذان العرضان اللذان تم تقديمهما في عامي (١٩٥٣) و(١٩٥٤) على التوالي ، جعلا فو ينطلق كمؤلف ـ مخرج ـ ممثل ، وكذلك كشوكة في جنب المؤسسة الرجعية المحافظة الحاكمة . هذا وبسبب الهزء الصريح بمؤسسات البلد الرئيسة السياسية منها والاجتماعية الذي تميز به العرضان ، فقد هاجمتهما الصحافة . كما قام النقاد اليمينيون باخضاعهما إلى وابل من الضغوط والرقابة الحكومية بحيث كان ايقافهما أمرا لا بد منه .

وبعد أن عمل لفترة قصيرة كممثل سينمائي ومصمم للديكور ، عاد فو إلى المسرح بسلسلة من الاسكتشات القصيرة المبنية على تشكيلة واسعة من التقنيات الكوميدية ، وخاصة الميلودراما شبه الشعبية الخاصة بالقرن التاسع عشر و«الفارس» الفرنسي . وفي هذه «الكولاجات» الدرامية كانت زوجة فو تعمل كمساعدة له ، وأعني بذلك «فرانكا رامه» الممثلة الموهوبة ، والمنتجة والمخرجة المسرحية المستقلة حاليا . وقد شكل هذان الاثنان في حينه فرقتهما المسرحية الخاصة وأسمياها «فرقة داريو فو

---

(١) ريفو Revue عرض مسرحي يتألف من مزيج من الحوار والرقص والغناء ويهدف عادة إلى السخرية من الأحداث الجارية (المترجم) .

وفرانكا رامه» وذلك عام (١٩٥٩) ، وقد عرفا في السنوات التسع التي تلت نجاحا شعبيا وتجاريا كبيرا بسلسة من الكوميديات «البورجوازية» السبع : والتي سميت هكذا لأنها كانت تقدم على نحو رئيس إلى جمهور من الطبقة الوسطى ضمن دارة المسرح الحرفي العادي . ورغم هذه الحقيقة ، فإن المسرحيات كانت تعكس البحث الدائم لدى فو في الدراما الشعبية . كما أنها وسعت استعماله للكوميديا الغروتسك كأداة للنقد السياسي والاجتماعي ، فهاجمت مؤسسات مخيفة كالبيروقراطية الحكومية في ايطاليا والقوات المسلحة والكنيسة الكاثوليكية ، والشركات الكبرى الرئيسة ونظام السجون . وقد كان آخر حلقة في هذه الكوميديات وأكثرها طموحاً من الناحية التقنية ـ أنتجت عام ١٩٦٧ ـ عبارة عن شجب للامبريالية الأمريكية والحرب في فييتنام .

وخلال هذه الفترة قطع نشاطه المسرحي الأساسي مرتين : الأولى عام (١٩٦٣) حين أخرج هو وفرانكا رامه وكتبا ومثلا في ايطاليا أكثر المسلسلات التلفزيونية الايطالية شعبية (والذي استقالا من العمل فيه حين حاولت رقابة الشبكة التلفزيونية الحكومية أن تحذف العناصر السياسية المثيرة للجدل من سيناريو المسلسل) ، ومرة أخرى في عام (١٩٦٩) ، وذلك حتى يستطيع اخراج عرض ضخم للأغاني التقليدية قام بالأداء فيه موسيقيون غير محترفين ينتمون إلى الريف والطبقة العاملة . وعلى أية حال ، فإن طلاق فو النهائي مع المسرح التجاري لم يحدث حتى عام (١٩٦٨) حين أدى به تلاحق الصراعات السياسية : حركة الاحتجاج العالمية ضد حرب فييتنام وانتفاضة الطلبة والعمال الفرنسيين والثورة الثقافية في الصين ، وموجة من الاضرابات العمالية والغليان الاجتماعي عبر ايطاليا كلها ، إلى أن يجد طريقة جديدة للاتصال بنوع جديد من الجمهور . وشأنه شأن الآلاف من الفنانين الأوربيين في ذلك الحين ، أصبح على قناعة من أنه لا بد من تحويل

نتاجات جهده الابداعي من سلعة تجارية إلى أدوات للتغيير الاجتماعي والسياسي . وهكذا صمم على «أن يوقف تمثيل دور مهرج البورجوازية» وأن يضع مهاراته مباشرة في خدمة الطبقة العاملة الايطالية والحركة الثورية .

تم حل «فرقة فو ـ رامه» ، وبرزت إلى الوجود مكانها «نووفا سينا» (المشهد الجديد) ، وهي عبارة عن مؤسسة تعاونية مسرحية متحالفة مع الحزب الشيوعي الايطالي . وبالاضافة إلى تقديم الدعم المادي والدعاية ، وضع «الحزب» تحت تصرف الفرقة الجديدة الشبكة الثقافية والترفيهية الواسعة الموجودة في حوزته . وقد سمح هذا للفرقة بأن تقدم أعمالها في مواقع عديدة كانت الفرق الحرفية الجوالة تتجاهلها عمداً : المعامل والقاعات النقابية ومراكز القيادة المحلية للحزب والتعاونيات الزراعية وهكذا . وخلال عامين من وجودها قدمت «نووفا سينا» أربع مسرحيات رئيسة كلها من تأليف واخراج وتمثيل داريو فو . وقد لاقت تلك العروض استحسانا حماسيا من قبل الجمهور العمالي عبر ايطاليا كلها . وكان «الفصل الثالث» غير التقليدي فيها والذي يتألف عادة من حوار مفتوح حول القضايا التي أثارتها المسرحية ، يُبقي النظارة جالسين في مواقع العرض ساعات بحالها أحياناً بعد انتهاء العرض الأساسي . ورغم نجاح المسرحيات الجماهيري ، على أية حال ، فإنها لاقت المزيد من النقد والمعارضة من الحزب الشيوعي . فقد كانت تعالج على نحو مفتوح عددا من الخيارات والالتزامات الاستراتيجية التي أخذتها قيادة الحزب على عاتقها ، بل ما هو أدهى ، كانت تدعو الأعضاء العاديين إلى اخضاع هذه الخيارات إلى النقاش المفتوح . وقد كان من شأن هذا أن ينذر بالمبالغة في تطبيق الديموقراطية المشتركة في نظر بعض قادة الحزب الحذرين الذين راحوا يهددون بوضع رقابة على العرض بل ذهبوا إلى الاعلان عن أنها «تتجاوز كل الحدود »وذلك أمام الأعضاء المحليين للحزب . وكانت النتيجة هي أنه حدثت في عام (١٩٧٠) بعد نقد

ذاتي موسع وجدال واحتكاك داخلي ، أن قام فو وكذلك رامه (مع أعضاء آخرين من الفرقة) بالانسحاب من « نووفا سينا » وتأسيس « التعاونية المسرحية : الكومونة » ، وهي تعاونية مسرحية مستقلة ماديا عن المؤسسات الثقافية « البرجوازية » و« التحريفية » على حد سواء ، وذات ارتباط بالجناح اليساري الثوري لحركة الطبقة العاملة .

منذ تشكيل « الكومونة » ، كتب فو وأخرج أكثر من خمسة وعشرين عملا : مسرحيات ، « كولاجات » مؤلفة من مونولوجات واسكتشات قصيرة ، سيناريوهات ، وعروض سريعة الانشاء كاستجابة لحوادث سياسية معاصرة محددة أو ظروف محلية بعينها ، وعروض موسيقية شعبية جديدة . كما ألف قصائد وأغاني ومقالات تهكمية ، وقدم مسرحياته في عدد من الدول الأوربية ، وزار الصين ، وظهر مرة أخرى على شاشة التلفزيون (هذه المرة دون تهديد بالرقابة حيث أن القيود على وسائل الاعلام الجماهيرية قد رفع معظمها مع اقرار الدستور الاصلاحي عام ١٩٨٦) ، كما قام بتدريس دورات عن الشعر والمسرح الشعبيين ، وأخرج أوبرا على مسرح « لاسكالا » ، ونظم شبكة ثقافية ـ سياسية واسعة ذات فروع في كل أنحاء البلد ، وقضى بعض الوقت في السجن ، وألقى مئات من الخطب كما اشترك في مختلف النضالات السياسية التي تتراوح بين شن الحرب على مجلس مدينة ميلانو العنيد بسبب بناء كبير مهمل أرادت « الكومونة » أن تستعمله كمقر دائم لها ، وبين الحملة الوطنية دفاعا عن الحقوق المدنية للسجناء « السياسيين » و« العاديين » كذلك .

لو أردنا أن نحكي كل شيء عن حياة داريو فو وتجربته المسرحية لكان علينا أن نكتب تاريخ ايطاليا كلها بعد الحرب العالمية الثانية ، لان عمله لا يمكن فهمه بالفعل الا كاستجابة مستمرة وابداعية على نحو فريد للتطورات الرئيسة الاجتماعية والسياسية للأعوام الثلاثين الماضية . فمنذ

طلاقه مع المسرح التجاري يمكن وصف هذه العلاقة على أنها علاقة تكييف مشترك حيث أن «مسرح داريو فو» (هذا لو استعملنا المصطلح في أوسع معانيه) قد أصبح ليس نقدا للمجتمع الحالي فحسب ، بل محاولة لتغييره بالمساهمة ـ التي تجدر بما يسمح به الفن مباشرة ـ في الكفاح من أجل الاشتراكية* .

* * *

* حصل فو على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٧ .

٢- خلفية المسرحية:

في عصر يوم الثاني عشر من كانون الأول (ديسمبر) من عام (١٩٦٩) ، انفجرت قنبلة داخل «المصرف الوطني الزراعي» في قلب مدينة ميلانو مما أسفر عن مقتل ستة عشر شخصا وجرح ثمانية وثمانين . قد كان لهذا الحادث مضاعفات سياسية خطيرة في كل أرجاء ايطاليا . فقد أطلق حملة اعتقالات فورية من قبل الشرطة لذوي النشاط السياسي من اليساريين والمتعاطفين معهم . وفي كل أنحاء البلد تم اعتقال أعضاء في المنظمات اليسارية المتطرفة وعدد كبير من أعضاء الحزب الشيوعي أيضا ، وقد اقتيدوا إلى قيادة الشرطة للتأكد من هوياتهم . وقد احتجز المثيرون لأيام دون اطلاق سراحهم بكفالة أو السماح لهم بالاستعانة بالمحامين .

وبعد تلك العملية الارهابية بفترة وجيزة ، استدعي عامل سكة حديد من سكان ميلانو اسمه «جيوزيبه بينيلي» ، وهو عضو في مجموعة إرهابية صغيرة ، إلى مقر القيادة المركزية للشرطة من أجل «الاستجواب» . وقد أبقي في السجن مدة ثلاثة أيام قامت الشرطة خلالها باستنطاقه بوحشية وعلى نحو متواصل . وفي الخامس عشر من كانون الأول (ديسمبر) ، وخلال استجوابه من قبل المفتش «لويجي كالابريزي» وضباط آخرين ، «سقط» العامل من نافذة في الطابق الرابع لمقر القيادة . وقد أعلن رسميا أن موت بينيلي كان انتحارا وأنه اعتراف بالذنب . وفي هذه الأثناء ، تم اعتقال فوضوي سيء الطالع من مدينة روما اسمه «بييترو فالبريدا» مع عضوين آخرين من مجموعته في كمين للشرطة وتم اتهامهم رسميا بعملية التفجير . وقد بقوا في السجن أربع سنوات تقريبا قبل تقديمهم إلى المحاكمة .

خلال الأشهر التي تلت موت «بينيلي» والقبض على الفوضويين الثلاثة ، جرت آلاف النشاطات السياسية التي سعت على نحو مكثف إلى

اكتشاف حقيقة الجرائم . وقد جرى ذلك كله ضمن ظروف صعبة للغاية : فقد كان رد فعل الشرطة والمحاكم على التفجيرات هو شن حملة تخويف وقمع شعواء على اليسار . لقد نظمت الشرطة ملفات بأسماء (١٤٠٠) عامل وطالب ونقابي ومناضل سياسي ، وجرت مئات الاعتقالات والتفتيشات . هذا وقد عبرت الأدوات الرسمية لاحزاب اليسار الجماهيرية عن محنة واضطراب قياداتها . وقد كان اليسار المستقل هو الذي استطاع بجهوده ـ على نحو أساسي ـ أن يكشف الوقائع الحقيقية لما حدث . وحين انكشفت هذه كان لها نتائج فضائحية ومخيفة .

لقد أدت آلاف التقارير والوثائق والشهادات والأدلة ، التي جمعت وقورنت بكل أناة وصبر عبر أشهر عديدة ، إلى النتيجة الحتمية التي مفادها أن التفجيرات التي حدثت في «بياتسا فونتانا» (موقع البنك الزراعي) قد جرى التخطيط لها وتنفيذها من قبل منظمة فاشية جديدة . وعلاوة على ذلك ، فان تلك التفجيرات لم تكن عملا افراديا فقد حدثت جرائم مشابهة أقل حجما ارتكبتها مجموعات يمينية أخرى ، تعمل تحت حماية وتواطؤ المؤسسات الفاشية الدولية شبه العسكرية ، والصناعيين الكبار ، والقوات المسلحة ، والاستخبارات ، والشرطة والمحاكم وبعض القطاعات الحكومية ، وقد جرى دعمها جزئيا من قبل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية . إن ما برز اذن كان صورة حملة منظمة من العنف والارهاب ، ما كان فيها الفاشيون «الصغار» ، شأن الفاشيين اللذين حوكما وأدينا بالتفجيرات في النهاية ، واللذين أطلق سراحهما بعد سنوات قليلة سوى ساعين في خدمة سلطات أعلى بكثير . وقد كان الهدف الرئيس من تلك الحملة ، والتي عُرفت باسم «استراتيجية التوتر» ، هو خلق جو شديد التوتر من الخوف وانعدام الثقة ، بحيث تمنح السلطات العسكرية والقوى اليمينية أخيرا السلطة للقضاء على المعارضة الراديكالية بالكامل والهيمنة على أدوات سلطة الدولة .

كانت موجة الاحتجاج العامة والغضب التي أثارها موت «بينيلي» قد أجبرت المحكمة العليا الايطالية على فتح تحقيق في أسبابه . هذا وقد تم وضع جزء كبير من ملف هذا الانتحار الرسمي ، ونسخ طبق الأصل من الافادات غير الرسمية التي أدلى بها أشخاص لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالقضية ، تحت تصرف الجماهير عبر قنوات «تسريب المعلومات» وعمل المحققين الدؤوب . هذا وقد حاولت المحكمة ـ كحليف تقليدي للشرطة وواحدة من مؤسسات البلد الرجعية الرئيسة ـ أن تمنع المعلومات من التداول وأن تمحو كل آثار البينات التي تشير الى مسؤولية الفاشيين عن التفجيرات الارهابية . كما حاولت أرملة وأم «بينيلي» ، مدعومتين بالكثير من المؤسسات التقدمية ، أن تمنعا المحكمة من قبول المعلومات الوثيقة الصلة بالموضوع من تبييض صفحة الشرطة . وخلال سلسلة طويلة من التحقيقات والجلسات ، كانت الرواية «الرسمية» للحدث خيطا واهيا ، ملأى بالتناقضات والبيانات الكاذبة والكذب الفاضح . ومع ذلك حكمت المحكمة أخيرا أنه لا توجد أسس كافية للادانة . وقد أمر رئيس المحكمة القاضي «فيتوريو أو كورسيو» بحفظ القضية واغلاق ملفاتها . كما أسقطت التهم الموجهة إلى رئيس الشرطة «مارتشيلو غويدا» وكبير المفتشين «كالابريزي» والضباط الآخرين المتورطين في هذه القضية ، كما أُنكر على أرملة «بينيلي» أن تنال تعويضا قانونيا حتى عن نفقات المحكمة .

* * *

٣- المسرحية:

افتتحت مسرحية «موت فوضوي بالصدفة» التي دعاها داريو فو «فارس غروتسك حول فارس مأساوي» ، في كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٧٠ ، أي بعد سنة بالضبط من الحوادث التي ألهمته بكتابتها . وهي مبنية على أداة مسرحية مركزية واحدة : اللغز - أو اذا توخينا المزيد من الدقة ، شبكة متداخلة من الالغاز . ومن المسرحية ذاتها ، التي «تدّعي» أنها تنقل إلى الأراضي الايطالية حادثة وقعت في الولايات المتحدة وإلى الشخصية المركزية الأشبه بالحرباء في تقلبها وتلونها : (الأبله) ، فان الكوميديا بأكملها تدور حول سلسلة من الالتباسات والانتحالات . وأهم حلقات هذه السلسلة لا يمكن اكتشافها ضمن نص المسرحية نفسه ، لانها تفترض مسبقا معرفة بالاشخاص الذين صيغت الشخصيات إستناداً إليهم . في هذه الكوميديا a` cle` ، فان «المفتش ذو الملابس العادية» هو «لويجي كالابريزي» ، رئيس الفريق الذي تولى التحقيق مع بينيلي . أما «الرئيس» فهو «ماتشيلو غويدا» ، الناطق الرئيس باسم الشرطة والمتهم بمهمة التغطية على المسؤول الحقيقي عن موت الفوضوي ، أما «الصحفية» فهي صورة شبه حقيقية لـ «كاميلا تشيديرنا» ، وهي صحفية شجاعة مستقلة لعبت دورا أساسيا في كشف «الممر الأسود» الذي أدى إلى الدليل الذي كشف مسؤولية الفاشيين عن تفجير «المصرف الزراعي» في ميلانو . أما بطل المسرحية فهو الوحيد الذي يلعب دورا ليس له نظير في الواقع ، وهذا الدور الذي يلعبه ما هو سوى طبقة فوق أخرى من التنكر .

وعوضاً عن «حل العقدة» التي يتميز بها «الفارس» الكلاسيكي فان «موت فوضوي صدفة» تحل عقدتها بأسلوب آخر ، بحيلة مرايا عبقرية . فما أن يلقى القاضي المزيف مصيره في «حادث» مطابق تماما لذلك الذي

قتل فية الفوضوي سيء الطالع ، حتى يظهر القاضي الحقيقي (أو هل هو هو ؟) على الخشبة ، ليبدأ بالمسرحية من أولها إن صح التعبير . وهكذا فان طبقات الوهم والتظاهر التي استخدمت ، الواحدة فوق الأخرى ، عبر الفعل الدرامي ، تتم تعريتها مرة أخرى ، وذلك حتى تكشف لغزا جديدا في مكان اللغز الأصلي . إن كوميديا الغروتسك ذات التزييفات تمتد حتى إلى البنية الشكلية للعقدة .

إن استخدام فو الذكي لـ «المسرحية داخل المسرحية» وحيلة النص المسرحي المصمم كصندوق صيني ، أمران يسران المخيلة دون شك . وعلى أية حال ، هناك وراء فتنة مثل هذا التصميم قصد سياسي واضح . وبينما تم بناء العرض كله على الحقيقة الوثائقية ، فإن حيله الغريبة والكاريكاتير الذي فيه يمنعه من السقوط في وصف الحوادث بأسلوب يميل إلى المدرسة الطبيعية والتسطيح ، إنه يخلق تركيبا ديالكتيكيا من تاريخ عرض الأحداث والفنطازيا ، والنقد الاجتماعي والتهريج الخاص بالسير . وأهم شيء هو التناظر الوظيفي الذي يتم الايحاء به باستمرار بين «الواقع» و«الخيال» . إن الهيئات التنكرية المتتابعة التي يتنكر بها «الابله» منافية للعقل ، ولكن ذلك ليس أكثر منافاة للعقل من التنكر الشامل الذي يهيمن على المسرحية كلها : التغطية القانونية على وقائع حادثة موت «بينيلي» .

وبالمحافظة على «لغز» المسرحية وبتوسيع مظاهرها الزائفة المبهرجة من حول نقطة انطلاقها ، يخلق فو عملية خداع متواصلة . وفي هذا الخصوص فان مسرحية «موت فوضوي بالصدفة» نسخة طبق الأصل لعملية الخداع الحقيقية ، كوميديا الغروتسك الواقعية التي ـ شأنها شأن المسرحية ـ لا تبدأ بموت فوضوي ، ولا تنتهي بتحقيق قضائي ، بل تستمر في تكرار نفسها المرة إثر الأخرى على شكل قمع وعنف ، وأكاذيب رسمية ومؤامرات تحوكها السلطة .

٤- ملاحظة حول الترجمة:

يكتب داريو فو نثرا دراميا يقترب كثيرا من اللهجة العامية المنطوقة التي يستخدمها الناس في شمال ايطاليا ، ولكن مع تصريف نحوي وايقاع خاص بالمنطقة المحيطة بميلانو . ورغم أن تعبيرات اللهجة الميلانية لا تظهر إلا نادرا في كتاباته ، إلا أنها تلون بمصطلحات معبرة وبألفاظ شعبية وتلاعبات لفظية غريبة متكررة .

وحتى أكثر الحوارات مباشرة تتميز بايقاع داخلي يميزها عن الحوار العادي ويجعلها تعكس اسلوبا بعينه . ولا يمكن لأي ترجمة «حرفية» من لغة إلى أخرى أن تحتفظ بهذه الخاصية المتميزة . ولهذا قمت في ترجمتي لهذا النص بالتضحية غالبا بالترجمة الحرفية لكلمة أو جملة ما ، وباستعمال التعبير الأمريكي الذي هو أقرب ما يكون فيما يثيره من انفعالات ومن ايقاع صوتي إلى الأصل . أما بالنسبة للتلاعبات اللغوية واللفظية ، فقد ترجمتها ، حين لم أجد مرادفا انكليزيا لها ، ترجمة حرفية ثم وضعت لها هامشا اشرح به النكتة . وبسبب رغبتي في الاخلاص للنص الأصلي ، لم أحذف شيئا ، بل اضطررت مرة إلى اعادة كتابة مقطع مختصر حتى أبقي على معنى المونولوج كله وهو الذي يعتمد أساسا على الغموض اللغوي .

هناك ثلاثة نصوص منشورة لهذه المسرحية : الأول صدر في فيرونا عام (١٩٧٢) والثاني في ميلانو (١٩٧٣) والثالث في تورينو (١٩٧٧) . ومن المهم أن أشير هنا إلى أن هناك اختلافات كبيرة بين هذه النصوص الثلاثة ، وخاصة في المشهد الأخير . إن نصوص فو نادرا ما تنشر مرتين دون تغيير ، فهو يعدها باستمرار على أساس التطورات التاريخية والسياسية

الجارية ، كما يأخذ في الاعتبار مقترحات النظّارة أو القرارات المتخذة من قبل مجموعته التعاونية المسرحية ، إن ترجمتي هذه اعتمدت على نحو رئيس النص المنشور عام (١٩٧٣) .

سوزان كووان

موت فوضوي صدفة

برولوغ

في هذه المسرحية نرغب في سرد حادثة جرت بالفعل في أمريكا عام (١٩٢١) .

فلقد «ألقى» فوضوي اسمه «سالزيدو» ، وهو مهاجر من أصل ايطالي ، بنفسه من نافذة الطابق الرابع عشر من مقر قيادة الشرطة المركزية في نيويورك . وقد صرح رئيس الشرطة أنها كانت قضية انتحار .

هذا وقد جرى تحقيق أولي اتبع لاحقا بتحقيق رئيس من قبل المحكمة التي اكتشفت أن الفوضوي قد أُلقي به من النافذة من قبل رجال الشرطة خلال الاستجواب .

وحتى نجعل هذه الحادثة أكثر واقعية ، وأكثر درامية بالتالي ، فقد اخترنا تنفيذ احدى تلك الحيل التي يلجأ اليها المسرح عادة . أي قمنا بنقل الحادثة كلها إلى زماننا الحاضر ، وبدلا من أن يكون مكان الحدث نيويورك جعلناه في مدينة ايطالية... ولنقل ميلانو مثلا .

وحتى نتجنب المفارقات التاريخية ، اضطررنا منطقيا إلى أن ندعو مفتش الشرطة Commissario والرؤساء Questori وهكذا دواليك[1] .

---

(١) «قوات الأمن العام» هي واحدة من ثلاث قوى رئيسة للشرطة ، وهي منظمة على مستوى الدولة كلها . هذا وإن لها بنية هرمية مشابهة نوعا ما للشرطة الفرنسية وذلك تحت السلطة التشريعية لوزارة الداخلية . والـ Questro (الذي ترجمته على أنه «Chief» أي الرئيس) يكون آمرا لكل دوائر الشرطة ضمن منطقة معينة ، مثلا : «لومباردي» أو «توسكاني» . ويليه في الترتيب Commissario (أسميته Inspector أو المفتش) ، وهو مسؤول عن كل الوحدات ضمن مقاطعة معينة . لا يوجد أي موظف مدني يشابه مفوض الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية

وعلينا أن نوضح أنه إذا ظهر أي تشابه مع حقائق أو أفراد ينتمون إلى عصرنا الحالي ، فانه يتوجب علينا أن نعزو هذه الظاهرة إلى ذلك السحر اللاموزون والثابت ، سحر المسرح ، والذي سبق له في مناسبات عديدة أن عمل بطريقة أدى معها إلى أن تتحول حتى القصص المختلفة تماما والمنافية للعقل إلى قصص يقلدها الواقع دون تحفظ[١] .

(١) في ايطاليا مجموعة دقيقة من قوانين الرقابة التي تتحكم بشكل ومحتوى المسرحيات والأفلام ووسائل الاعلام الجماهيرية . أية عبارة تلفظ أو تطبع للجمهور يمكن أن تفهم على أنها تسيء إلى الكنيسة أو المحاكم أو القوات المسلحة أو رئيس الجمهورية وعدد كبير من المؤسسات الأخرى (أو تهدد النظام العام والأخلاق) قد تُعرّض صاحبها للملاحقة القضائية . مازال الكثير من المسرحيات والأفلام موجوداً على لائحة الرقيب وممنوعاً عرضه على الجمهور . وبسبب الطبيعة الاستفزازية لمسرح داريو فو ، أكثر من أي كاتب ايطالي آخر ، فقد تعرضت أعماله إلى مختلف أشكال الرقابة والمضايقة الرسمية . والحيلة التي يستعملها في « البرولوغ » والتي يتم تذكير الجمهور بها مرات عديدة خلال المسرحية ، عبارة عن تعليق ساحر على اسرار الرقابة الحكومية وخدعة ماكرة قصد منها الا تمنع الرقابة عرض مسرحية « موت فوضوي صدفة »

• جرى العرض الأول لهذه المسرحية يوم السبت الواقع في الخامس من كانون الأول عام (١٩٧٠) في لومباردي .

الشخصيات

- المفتش ذو الملابس العادية
- رئيس الشرطة
- صحفية
- الأبله
- الشرطي (١)
- الشرطي (٢)
- المفتش برتوتسو

الفصل الأول

المشهد الأول

(غرفة عادية في مقر القيادة المركزية للشرطة . مكتب ، خزانة كبيرة ، بعض الكراسي ، آلة كاتبة ، هاتف ، نافذة ، بابان)

مفتش الشرطة : (يتصفح بعض الوثائق ويواجه مشتبها به يجلس بهدوء) : هاهه ، اذن هذه ليست المرة الأولى التي تنكرت بها لتنتحل شخصية معينة . فالتقرير هنا يقول إنك حاولت أن تنتحل مرتين شخصية جرّاح ، ومرة شخصية نقيب في سلاح الرماة ، وثلاث مرات شخصية أسقف... ومرة شخصية مهندس في البحرية... أي أنك أوقفت اجمالاً ما مجموعه... لنر... اثنان وثلاثة وخمسة... واحد ، ثلاثة... اثنان... احدى عشرة مرة اجمالا ، وهذه هي المرة الثانية عشرة .

المشبوه : نعم ، اثنتا عشرة مرة أوقفت بها . ولكن عليّ أن أوضح أيها المفتش أنه لم يصدر حكم بإدانتي ولا مرة واحدة . سجلي نظيف .

المفتش : حسنا ، لا أعرف الحيل الماكرة التي استعملتها لتنجو بنفسك ، ولكني أكفل لك هذه المرة تلطيخ سجلك . يمكنك المراهنة على ذلك .

المشبوه : أوه ، أفهم ما تعنيه أيها المفتش . كل الناس ينتابهم دافع تلطيخ سجل نظيف مرة من المرات .

المفتش : اذن أنت شخص حكيم! يقول الاتهام هنا أنك انتحلت شخصية طبيب نفساني ، بروفسور متقاعد من جامعة بادوفا... هل تعرف أن انتحال شخصية مزيفة يمكن أن يدخلك إلى السجن ؟

المشبوه : نعم ، انتحال الشخصية المزيفة اذا قام به شخص عاقل يؤدي به إلى السجن . ولكني مجنون ، مجنون رسميا . انظر : ها هو سجلي المرضي . لقد دخلت المصح ست عشرة مرة حتى الآن ، ودائما للسبب نفسه : أنا أعاني مرض تقليد الشخصيات . ويسمى بلغة العلم «جنون التمثيل» ، والتمثيل من كلمة «ممثل» . إلا أني ألعب أدواري على مسرح الحياة الحقيقية ، لذا فان فرقتي الدرامية يجب أن تكون مؤلفة من أشخاص حقيقيين لا يعرفون أنهم يلعبون أدوارا مسرحية . ومن ناحية أخرى ، ليس معي نقود أدفعها لهم . لقد طلبت إعانة من وزارة التسلية ، ولكن بما أنه ليس لي من وساطة سياسية...

المفتش : حسنا ، اذن فأنت تجعل ممثليك يدفعون لك . أنت تلوي أذرعتهم .

المشبوه : لا بالفعل . لم يسبق أن استغللت أحدا .

المفتش : هيا اقترب أكثر مني : لقد أخذت بالفعل مبلغ عشرين ألف لير لقاء استشارة طبية...

الشرطي : (يقف خلف المشبوه) : يا ولد! يا لها من سرقة!

المشبوه : هذه هي التعرفة العادية التي يطلبها أي طبيب نفساني يحترم نفسه... يطلبها أي شخص درس الموضوع نفسه ستة عشر عاما!

المفتش : حسنا ، ولكن متى سبق لك ودرست أي شيء ؟

المشبوه : عجبا ، لقد درست مدة عشرين عاما في ستة عشر مصحا عقليا مختلفا ، وفحصت آلاف المجانين من أمثالي ، نهارا بعد نهار... وفي الليل أيضا . لأني خلافا للأطباء النفسانيين العاديين ، كنت أنام معهم... وأحيانا كنتُ أنام واقفا مع اثنين آخرين ، فالأسرّة لا تكون أبدا بالعدد الكافي . وعلى أية حال ، أنظر في المسألة وسترى أني قد شخصت تشخيصا دقيقا وكاملا حالة ذلك الشخص المسكين المصاب بالشيزوفرينيا ، ذلك الذي اتهمتموني بسببه .

المفتش : وكانت العشرون ألف لير كاملة ودقيقة أيضا!

المشبوه : ولكن يا حضرة المفتش ، كان عليّ أن أطلب منه ذلك المبلغ لصالحه هو!

المفتش : آه ، لصالحه . أكان ذلك جزءا من العلاج ؟

المشبوه : طبعا . لو لم آخذ تلك العشرين ألف لير منه ، هل تعتقد أن ذلك الرجل المسكين ، وأسرته خاصة ، كان سيشعر بالارتياح ؟ لو أخذت منه خمسة آلاف لير فقط ، لكانوا قد فكروا دون شك على هذا المنوال : «لا شك أن هذا طبيب من الدرجة الثانية ، وربما لا يكون حائزا على درجة الدكتوراه ، بل هو خريج جديد ، مبتدئ» . ولكني بدلا من ذلك صعقتهم حين قدمت لهم الفاتورة . لقد تساءلوا : من هو هذا الطبيب يا ترى ؟ الأب الخالد ؟ وقد خرجوا سعيدين جدا . بل لقد قبّلوا يدي... «شكرا جزيلا يا دكتور»... وقد بكوا من الانفعال .

المفتش : يا للكارثة ، لا شك أنك تعرف كيف تكذب!

المشبوه : ولكن هذه ليست أكاذيب يا حضرة المفتش . حتى فرويد قال أن أجرة المعاينة المرتفعة هي أكثر العلاجات فعالية ، وذلك لكل من الطبيب والمريض!

المفتش : اصدق ذلك! وعلى أية حال ، ألق نظرة على بطاقتك المهنية ووصفاتك الطبية . وإن لم أكن مخطئا فقد طبع عليها : «البروفسور انطونيو رابي . طبيب نفساني . بروفسور متقاعد ، من جامعة بادوفا » . هيا ، ما رأيك بهذا ؟

المشبوه : أولا ، أنا بروفسور فعلا . بروفسور في الرسم ، وفي فنون الزخرفة والفنون اليدوية ، وذلك في مدرسة «المخلص المقدس» الليلية .

المفتش : حسنا أليس هذا جميلا ؟ برافو . ولكن مطبوع هنا : « طبيب نفساني » .

المشبوه : أجل ، ولكنه بعد النقطة ، أي «علامة التوقف»! ألا تعرف شيئا عن الاعراب والتنقيط ؟ انتبه إليّ : البروفسور انطونيو رابي . نقطة . ثم هناك طبيب نفساني . والآن ، ستقر معي أني لم أكن أنتحل لقبا مهنيا مزيفا اذ أني لا أقول : «أنا طبيب نفساني » . هذا أشبه بقولك : «أنا عالم نبات ، نباتي ، مصاب بالتهاب المفاصل» . هل لديك معرفة بالاعراب واللغة ؟ حقا ؟ حسنا ، كان عليك أن تعرف اذن أنه لو وصف امرؤ نفسه على أنه عالم آثار ، فذلك كأنما هو قد كتب «من سكان ميلانو» . لا يعني أنه نال درجة جامعية في علم الآثار!

المفتش : حسنا ، ولكن ماذا عن «بروفسور متقاعد من الجامعة» ؟

المشبوه : هنا عليك أن... تعـذرني ، ولكن في هذه الحالة أنت مَنْ ينتحل شخصية مزيفة : لقد قلت لي أنك تفهم في اللغة والاعـراب والتنقـيط ومن ثم يتبين أنك لا تعرف كيف تقرأ قراءة صحيحة ؟

المفتش : ما الذي تعنيه ؟... لا أعرف...

المشبوه : ألم تر «الفاصلة» بعد «متقاعد» ؟

المفتش : أوه ، أجل ، هناك فاصلة . أنت على حق . لم انتبه اليها .

المشبوه : هاهه! أنا على حق! «لم انتـبـه اليـهـا»... وأنت كنت سترمي شخصا بريئا في السجن لأنك لم تنتبه اليها ؟ هكذا ببساطة ؟

المفتش : أتدري : أنت فعـلا مجنون . (دون أن يدرك ذلك ، بدأ المفتش يخاطب المشبوه بلهجة أكثر احتراما) . ما علاقة الفاصلة بالموضوع ؟

المشبوه : لا علاقة لها اطلاقا بالنسبة إلى شخص لا يعرف النحو والصـرف! وهذا يذكـرني بأن أطرح عليك سـؤالا : أين حصلت على شـهادتـك ؟ ومن منحها لك ؟... دعني إنه كلامي! تذكر أن الفاصلة هي مفتاح كل شيء! إن كانت هنا الفاصلة ، عليك أن تأخذ نفسا... أن تتوقف قليلا... لأن «الفاصلة تدل دائما على توقف» . لذلك يجب أن تقرأها كما يلي : «بروفسور متقاعد» ، وهذا يعني : «قد أنهى خدمته وتقاعد عن العمل» . وفي الواقع ، فأنا لم أكن بروفـسـورا عامـلا منذ بعض الوقت . والمـرء يمكنه أن يقرأ ذلك الجزء بنوع من الضحكة الهازئة : هاه ، هاه . اذن القراءة الصحيحة لتلك العبارة كما يلي :

بروفسور متقاعد ، هاه ، هاه . توقف . من جامعة بادوفا . تماما وكأنك تقرأ : «طبيب أسنان متقاعد ، من مدينة بيرغامو» . ولأني من جامعة بادوفا ، بمعنى أنها كانت آخر مكان زرته ، فأنا كنت قد وصلت مؤخرا من هناك حين... آه ، بدأت أمارس الطب النفساني . أية قراءة أخرى للعبارة ستكون خاطئة ومضللة تماما . من شأن شخص أحمق فحسب أن يرتكب مثل هذا الخطأ .

المفتش : اذن : فأنت تعتقد أني أحمق!

المشبوه : لا ، بل جاهل قليلا فحسب . إن أردت استطيع أن أعطيك بعض الدروس ، وبخصم خاص في السعر . وعلينا أن نبدأ على الفور . هناك الكثير من العمل أمامنا : قل لي : ما هي الضمائر المتصلة والمنفصلة ؟

المفتش : كفاك تظاهرا . لقد بدأت أفكر أنك تعاني فعلا جنون لعب الأدوار ، ولكنك تلعب دور المجنون معي . وفي الواقع فاني أراهن أنك أعقل مني .

المشبوه : لن أعرف . طبعا مهنتك هي من ذلك النوع الذي يؤدي إلى تبدلات نفسانية كثيرة... دعني أفحص لك عينك (ينزل الجفن السفلي لعين المفتش بابهامه) .

المفتش : يكفي! هيا نتابع التقرير .

المشبوه : اذا أردت أستطيع أن أضربه لك على الآلة الكاتبة . لديّ شهادة في الضرب على الآلة الكاتبة : خمس وأربعون كلمة في الدقيقة...

المفتش : اسكت وإلا وضعت القيد في يديك!

المشبوه : لا تستطيع! إما قميص المجانين أو لا شيء أنا

مجنون ، واذا وضعت القيد في يدي... فان المادة ١٢٢ من قانون الجنايات تنص على : «أي شخص يرتدي بزة شرطي ويستعمل أدوات تقييد غير سريرية أو نفسانية على فرد يعاني اضطراباً عقلياً ، بحيث يسبب تفاقما في حالة المذكور ، فانه يرتكب جريمة تتراوح عقوبتها بين الخمس إلى الخمس عشرة سنة وخسارة وظيفته وراتبه التقاعدي» .

المفتش : آه ، أرى أن لديك خبرة في القانون أيضا .

المشبوه : القانون ؟ أنا أعرف كل شيء . أنا أدرس القانون منذ عشرين عاما .

المفتش : وكم هو عمرك ، ثلاثمائة سنة ؟ أين درست القانون ؟

المشبوه : في مشافي المجانين! أنت لا تعرف كم الجو مناسب هناك للدراسة! كان معي مقرر محكمة مصاب بجنون العظمة وقد دربني . يا له من عبقري! أنا أعرف كل شيء : القوانين الرومانية والحديثة والسماوية... كل شيء! هيا اختبرني .

المفتش : كأن لديَّ وقتا لذلك! ولكن ليس في ملفك ما يدل على أنك انتحلت شخصية قاض... ولا حتى محام ؟!

المشبوه : أوه ، لا ، لن أكون محاميا على الاطلاق . لا أحب أن أدافع عن الناس ، هذه مهمة سلبية . أحب أن أصدر حكما... عقوبة... أحب أن أكبح... أن أضطهد! أنا من صنفكم يا حضرة المفتش العزيز . لماذا لا يدعو أحدنا الآخر باسمه الأول مجردا ؟

المفتش : احذر أيها المجنون . الأجدر بك أن تخفف مزاحك .

المشبوه : كما تريد .

المفتش : قلْ لي الآن هل سبق لك وانتحلت شخصية قاضٍ أو لا ؟

المشبوه : لا ، لسوء الحظ ، لم تسنح لي الفرصة . آه ، ولكنني أتمنى ذلك من كل قلبي : مهنة القاضي أفضل المهن . أولاً ، أنت لا تضطر إلى التقاعد إلا ما ندر . وفي الواقع ، فانه في تلك الفترة التي يصل فيها الشخص العادي ، أي عامل كان ، إلى سن الخامسة والخمسين أو الستين ، ويصبح من الضروري احالته على التقاعد لأنه أصبح بطيئا نوعا ما ، بطيئا في ردود الفعل ، فان القاضي يكون في ذروة تألقه المهني في تلك السن . العامل على خط تجميع أو آلة قاطعة يطرد بعد سن الخمسين ؛ فهو يسبب تباطؤاً وحوادث... لا بد من التخلص منه! عامل المناجم في سن الخامسة والخمسين يعاني داء الرئة بسبب تنشق غاز السيلكا ، اطردوه ، اصرفوه من الخدمة ، افصلوه بسرعة قبل أن يستحق راتبا تقاعديا . وهذا ينطبق أيضا على أمناء الصندوق في المصارف : ففي سن معينة يبدأون بخلط الحسابات بعضها ببعض ، وينسون أسماء الشركات أو الزبائن... اذهب إلى بيتك... انصرف فورا... أنت عجوز وضعيف العقل! أما القضاة ، من ناحية أخرى ، فالعكس هو الصحيح : فكلما أصبحوا أكبر سنا وأضعف عقلا رقوا إلى مناصب أعلى . إنهم يمنحون سلطات مهمة مطلقة! أنت ترى زمرة من الرجال العجائز ضئيلي الحجم المصنوعين من الكرتون وغير القادرين على تحريك

أعضائهم ، يرتدون الأوشحة الحرير والكابات والقبعات السوداء اللامعة ذات الشرائط الذهبية التي تجعلهم يبدون كممثلين صغار في أوبرا البندقية الكوميدية ، ها هم يرتعشون بوجوه تشبه فطر سفوح الجبال الصغير المجفف... ونظارات معلقة من أعناقهم بسلسلة صغيرة ذهبية حتى لا يضيعوها ؛ انهم لا يستطيعون أبدا أن يتذكروا أين وضعوها . هذه الشخصيات تملك السلطة القادرة على الانقاذ أو التدمير كيفما ومتى أرادت : إنهم يلقون بأحكام المؤبد كما يلقي أحد ما تحية الصباح أو يقول : «ستمطر غدا» . خمسون عاما لك... ثلاثون لك... أنت عشرون فحسب... لان وجهك أعجبني! إنهم يُملون الأوامر ، يُشَرِّعون ، يصدرون العقوبات ويقضون بالاحكام... وهم مقدسون مع ذلك ، لان عليك ألا تنسى أنه في بلدنا ايطاليا لايزال يعتبر سب المحكمة العليا جنحة . في بلدنا وفي العربية السعودية! آه ، أجل : أنا مستعد أن أدفع أي شيء مقابل أن ألعب دور القاضي مرة واحدة في حياتي . المحكمة العليا ، قاضي المحكمة العليا... «يا صاحب السعادة : أرجو أن تتفضل بالجلوس ؛ سكوت! هيئة المحكمة تدخل... أوه ، انظر ، لقد وجدت عظمة : هل هي لك ؟ لا ، هذا مستحيل ، لم يبق عندي ولا واحدة!» .

المفتش : اسمع ، هل لك أن تتوقف عن هذا الهذر ؟ لقد دوختني . اجلس هناك واخرس . (يدفعه نحو الكرسي) .

المشبوه : (بردة فعل هيستيرية) : هاي ، إرفع يديك عني والا عضضت!

المفتش : تعض من ؟

المشبوه : أنت! سأعضك من رقبتك ومؤخرتك أيضا! عو ، عو! واذا تصرفت معي بعنف فهناك المادة «١٢٢ ب» التي تقول : الاستفزاز والعنف اللذان ينجم عنهما ضرر لفرد أعزل عاجز غير قادر على أن يتحمل مسؤولية تصرفاته ، ستكون عقوبتهما السجن من ست إلى تسع سنوات وفقدان الراتب التقاعدي!

المفتش : اجلس والا نفد صبري . (مخاطبا الشرطي) : وما الذي تفعله أنت هناك ؟ أجلسه على الكرسي!

الشرطي : أجل ، ولكنه يعض يا سيدي .

المشبوه : طبعا أعض! عو ، عو... وأحذركم من أني مصاب بداء الكَلَبِ . لقد أصبت بالعدوى من أحد الكلاب : كلب هجين مسعور قضم لي نصف مؤخرتي . ولكنه مات وشفيت أنا . لقد شفيت ولكني لاأزال أعدي : عو ، عو! عوو!

المفتش : الشكر للمسيح ، هذا ما كان ينقصنا ، مجنون معدٍ! مرة أخيرة ، هل ستجعلني أكمل كتابة هذا التقرير أو لا ؟ هيا من فضلك ، كن ولدا طيبا! وبعدها سأسمح لك بالانصراف... أعدك بذلك .

المشبوه : لا ، لا ترمني خارجا يا سيدي المفتش . أنا سعيد جدا معك هنا ، عند الشرطة... أشعر أني محمي هنا ، هناك في الشارع الكثير من المخاطر في انتظاري . الناس خسيسون ، إنهم يقودون السيارات وينفخون في أبواقها ، ويكبحونها بعنف... كما أنهم يضربون عن

العمل! هناك باصات وحافلات مترو لها أبواب كبيرة تغلق هكذا... «سكرى... كلاك»... ثم ينهرس المرء! ابقني هنا معك . سأساعدك على جعل المشبوهين ينطقون... والمخربين أيضا . أعرف كيفية صنع تحاميل من النيتروغليسيرين...

المفتش : هذا يكفي . أنت تنرفزني!

المشبوه : أيها المفتش ، أبقني معك هنا والا ألقيت بنفسي من النافذة . في أي طابق نحن الآن ؟ الرابع ؟ حسنا هذا يتفق مع المعايير المتبعة في هذا المجال : سأقفز! سأقفز ، حين أكون هناك في الأسفل ، ممددا على الأرض احتضر ، ودمي منثور على الرصيف كله ، وأنفاسي تتحشرج مع اقتراب الموت... فأنا لا أموت بسرعة ، كما أني أتحشرج طويلا... فان الصحفيين سيأتون وسأقول لهم وأنا لاأزال أتحشرج انك دفعتني! سأقفز!

المفتش : شكري لله ، يكفي . (مخاطبا الشرطي) : اقفل النافذة . (الشرطي يطيع) .

المشبوه : اذن سأرمي بنفسي في بئر السلم . (يتجه نحو الباب) .

المفتش : اللعنة! كفى! اجلس . (يرمي به فوق الكرسي . يخاطب الشرطي) : أغلق الباب بالمفتاح... واخرج المفتاح...

المشبوه : وارم به من النافذة .
(الشرطي يقترب من النافذة مأخوذا) .

المفتش : حسنا ، ارم به... لا ، أعني هذه في الخزنة... أغلق الخزنة... اخرج المفتاح... (الشرطي يطيعه آليا) .

المشبوه : ضعه في فمك وابتلعه!

المفتش : لا ، لا ، لا ، لن يحولني أحد إلى مغفل . (مخاطبا الشرطي) أعطني ذلك المفتاح! (يفتح الباب) هيا ، اخرج ، وارم بنفسك في بئر السلم . افعل ما تريد . اخرج! سأخرج من هنا مجنونا أنا نفسي .

المشبوه : لا يا حضرة المفتش... لا تستطيع! لا تتصرف كمخالف للقانون . لا تندفع ، أرجوك . لماذا تريد مني الخروج ؟ ليس هذا هو موقف الباص الذي أريد النزول فيه!

المفتش : اخرج! (ينجح في دفعه خارجا ثم يصغي بقلق للخطوات عند الباب) أوه ، أخيراً .

الشرطي : يا حضرة المفتش ، عليَّ أن اذكرك أن هناك اجتماعاً في مكتب السيد بيلاتي وقد تأخرنا خمس دقائق .

المفتش : عجبا ، كم هي الساعة ؟ (ينظر إلى ساعته) أوه ، بسبب صراخه... أربكني ذلك المجنون اللعين . هيا نذهب . تحرك .

(يخرجان من اليسار . على اليمين ، الابله [المشبوه] يبرز رأسه من الباب نفسه الذي خرج منه) .

الأبله : هل تأذن لي ؟ يا حضرة المفتش... هل أتطفل عليك ؟ لا تغضب ، لقد عدت للتو لآخذ أوراقي... لِمَ لا تجيب ؟ هيا ، أنت لا تستطيع أن تحمل ضغينة . فلنتصالح . آه ، لا أحد هنا! حسنا ، سأحصل عليها بنفسي . سجلي المرضي... دفتر الوصفات... هاي ، ها هو سجلي الاجرامي! حسنا ، لنمزقه... بعيدا عن الانظار ، بعيدا عن الانظار ، بعيدا عن الأذهان . هم هم! لمن هذا السجل يا ترى ؟ (يقرأ) «سرقة مسلحة» . في

صيدلية . هذا أمر جيد[1] هذا ، حسن ، انس أمره ، لقد سامحناك . (يمزق هذا السجل أيضا) . وما الذي فعلته أنت (يقرأ) : «حيازة غير مشروعة... اضرار...» . هراء وهراء . هيا يا بني ، أنت حر! (يمزقه) . الكل أحرار! (يتوقف ليتفحص وثيقة معينة) . لا ، ليس أنت أيها النغل! ستبقى حيث أنت... تريد أن تصعد عكس التيار . (يضع الوثيقة بعناية على الطاولة ، ثم يفتح الخزانة الممتلئة بالملفات عن آخرها) . ليتجمد الجميع . لقد وصل القانون . واو! لا يمكن أن تكون هذه جميعا سجلات اجرامية! سأحرق هذا كله . سأصنع نارا كبيرة جميلة! (يخرج قداحة ويبدأ باشعال النار في حزمة كبيرة من الملفات ، ثم يقرأ الغلاف) : «تحقيق قضائي جار» . (في تلك اللحظة يرن جرس الهاتف . الأبله يرد بهدوء) : آلو ، مكتب المحقق برتوتسو . من المتكلم لا ، آسف ، ان لم تعطني اسمك لا أستطيع أن أناديه إلى الهاتف... ماذا ـ محقق ـ أهذا أنت شخصيا ؟ دون مزاح... ؟ يا له من أمر يدعو إلى السرور! المحقق الذي يرمي الناس من النوافذ! لا شيء . ومن أين تتكلم ؟ طبعا ، يا لي من غبي ، من الطابق الرابع... ومن أي مكان آخر يمكن ذلك ؟ ما الذي تعنيه اذ تسألني من أكون ؟ هل سمعت ذلك يا برتوتسو ؟ موقع الرعب في قلوب المخربين هنا على الهاتف ، ويريد أن يعرف من

(١) في ايطاليا تتعرض الصناعة الصيدلية للفضائح بسبب سياسة التسعير التي تتبعها والتضخم الذي تعانيه النفقات الطبية ، والربح الفاحش المنتظم على حساب نظام الصحة العام والمستهلكين الأفراد

أنا! احـزر! لـيس لديك وقت ؟ أوه ، هيـا ، وهنـاك دائمـا وقت كـاف لضـابط زمـيل . هيـا ، احـزر... والا لن أدعك تتكلم مع برتوتسـو . من أنا ؟ انـغـيـاري ؟ (جـانـبـا ، لنفسـه) : هل أنا انغياري ؟ (في السمـاعة) : نعم ، هذا صحيح ، حزرت : أنا المحقق بييترو انغياري ، شخصياً برافـو! ما الذي أفعله هنا في مـيلانو ؟ آه ، أنت تطرح كتيرا من الأسئلة . بدلا من ذلك ، ما رأيك أن تـقول لي أنت ، مـا الذي تريد أن تقـولـه لبـرتـوتسـو ؟ لا ، لا يستطيع هو القدوم إلى الهـاتف ، قل لي ما تريد . قاض من المـحـكمـة العليـا يرسلونـه من واشنطن ؟... آسف ، أعني من روما . أحيانا انسى أننا غيّرنا مكان حوادث المـسـرحـيـة . آه ، ومن المـفـتـرض أن يكون قـادمـا للتـفـتـيش . طبـعـا ، لا شك أن هناك خلافـا داخل وزارة العدل ، حول دوافع ذلك القاضي الذي قـرر وقف التحقيق وحفظ القضـية . ولكن هل أنت واثق من ذلك ؟ أوه وهذه اشـاعة ، هذا ما تصورته . أولا هم يشـعرون بالسـرور ، ثم تـنتـابـهم أفكار أخـرى ، وذلك بسـبب ضـغط الرأي العـام... أوه ، هيـا ، الرأي العـام . ضـغط ، يا للجـحـيم . بالـضبط ، بـرتوتسـو هنا ، إنـه يضـحك . (يضـحك وهو يبـعد السـمـاعـة عن وجـهـه) . ها ها!... كـمـا أنه يومئ باشـــارات بـذيئـــة... ها ها! (يتظاهر بـأنه ينادي) : يا برتوتسـو ، صديقنا من الطابق الرابع يقول انك تسـتطيع أن تضحك لانك لست متورطا في القضـية... أما بالنسـبة اليه هو ورئيسـه ، فذلك ألم في المؤخرة! (كألم البواسير)

ها ها! يقول انتبه حين تنظف نفسك! ها ها! هذه المرة أنا هو الذي يضحك . لأني سأطرب حقا لدى رؤيتي لكبير المفوضين وهو عالق فيها . نعم هذه هي الحقيقة . ويمكنك أن تقول له إني قلت ذلك : «المفتش أنغياري سيطرب لذلك»... برتوتسو يشاطرني الرأي أيضا . اسمعه يضحك (يبعد السماعة) ها ها! هل تسمع ذلك ؟ ومن ذا الذي يكترث لو ألقيت القاذورات علينا ؟ نعم ، يمكنك أن تقول له ذلك أيضا : أنغياري وبرتوتسو لا يكترثان أبدا . (يطلق شخيرا ساخرا) نعم ، هو الذي كان يشخر ساخرا . ولكن لا تغضب ، لا شك أننا نفهم أنك صديق قديم للرئيس ، منذ أن عملت كرئيس للمجانين في «أوستيكا» و«فينتوتينه»[1] . هاي ، لا عليك... لا تفهمها هكذا...! حسن ، هكذا أفضل . سنتحدث عن المسألة وجها لوجه . والآن ، ما الذي كنت تريده من برتوتسو ؟ أية وثائق ؟ هيا ، أنا أكتب ذلك : نسخة عن الأمر لحظة التحقيق في حادث موت فوضوي... أوكي... وعليه أن يسلمها إليك . وتريد أيضا نسخا عن السجلات العدلية . حسنا . نعم ، كل شيء

---

(١) خلال فترة الحكم الفاشي كان المناضلون العماليون واليساريون والمثقفون المعارضون وكل المعارضين الآخرين يرسلون إلى المنفى السياسي في جزر صغيرة شبه بدائية بعيدة مسافة أميال عن شاطئ جنوب ايطاليا . وكان «رئيس الشرطة» ماريشيلو غويدا آمرا لسجنين رئيسين من هذه الجزر السجون ، «أوستيكا» و«فينتوتينه» خلال السنوات الأخيرة من حكم النظام الفاشي . وكان بعيدا عن الشعور بالغبطة لدى مشاهدته لهذا المظهر من مظاهر ماضية البعيد يستدعى أمام أنظار الناس ، حيث كان من المفترض أن الحكومة «الديمقراطية» التي وصلت إلى الحكم في أعقاب الحرب العالمية الثانية قد طهرت اداراتها من العناصر الفاشية . وكان فشلها في تنفيذ هذه المهمة الحيوية قد عرضها إلى استنكار قوى الجناح اليساري

هنا في الملفات . أصدق ذلك! عليك أنت والسجان السابق لجزيرة السجن أن تتعاونا . إن كان القاضي القادم الى هنا نغلا ولو قليلا جدا ، كما يقولون... ما الذي تعنيه ، من أين سمعت ذلك ؟ في روما! من هناك أتيت ، أليس هذا صحيحا ؟ والمسألة يجري الكلام عنها منذ اليوم الأول ، أي أنهم مصممون على تلقينكم درسا . طبعا أعرف القاضي! ما ليبييرو ، هذا هو اسمه . لم تسمع به من قبل ؟ حسنا ، ستسمع به! إنه شخص قضى ما يقارب العشر سنوات في جزيرة السجن السياسي . اسأل رئيسك قائد مستعمرة العقاب إن كان قد سبق له صدفة و... لا ، الأفضل الا تسأله يمكن أن يصاب بنوبة قلبية ، وهذا من شأنه افساد المتعة . ها ها! لا يمكن للمرء أن يتمتع ولو قليلا في دائرة الشرطة هذه بعناصرها الذين لا يكفون عن الضراط بالجملة . أوكي ، سنرسله لكم على الفور . وداعا . انتظر دقيقة ، ها ها ، لقد قام برتوتسو بحركة مضحكة فعلا . عدني ألا تغضب وسأقول لك ما قاله . لن تنفجر ؟ حسنا اذن ، سأقول لك... ها ها!... ما إن ينهي ذلك القاضي المفتش زيارته هنا ، حتى ترسل إلى الجنوب ، وربما إلى أصغر بلدة منعزلة في جورة « كالابريا » ، حيث يتألف المبنى الرئيس لقيادة الشرطة المركزية من طابق واحد ومكتب المفتش هو في الدور التحتاني تحت القبو . ها ها! هل فهمت تحت القبو! ها ها! ها ها! ما رأيك ؟ لم يعجبك ذلك ؟ حسنا ، أتمنى لك حظا أطيب في المرة

القادمة[1] . (يصغي لحظة إلى صوت على الهاتف) أوكي ، سأقول له فورا . أوه ، يا برتوتسو! المحقق هنا ، الذي سينقل قريبا إلى كالابريا ، يقول إنه ما إن يرانا حتى يلكمنا على أنوفنا . الرسالة استلمت وتم نقلها . (شخير ساخر) من كلينا . وداعا!

(يعيد الأبله السماعة وسرعان ما يبدأ بالبحث كالمحموم عن الوثائق) . الأفضل الاسراع بالعمل يا صاحب الفضيلة ، أيها القاضي . الوقت ضيق . يا لها من فرصة لأثبت لنفسي وللعالم كله كم كانت دراستي جدية ، وكم استحق أن أوضع ضمن فئة الكائنات العليا المعصومة عن الخطأ والمقدسة أيضا... متى ستسنح لي مثل هذه الفرصة مرة أخرى يا إلهي ، أشعر باستثارة عظيمة! كأنما أنا على وشك دخول امتحان ، أكثر من امتحان واحد ، لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة أوكسفورد! اذا استطعت أن أقنعهم بأني قاضي تفتيش حقيقي... اذا لم تجر الأمور على النحو الملائم . يا للجحيم ، لقد مهدت للأمر! ولكن سيكون أمرا رهيبا لو أفسدت ذلك كله . فلنر الآن : أولا عليَّ أن أجد النوع المناسب من طريقة المشي (يحاول المشي مع عرج خفيف) : لا ، هذا أشبه بمستشار محكمة . اذن فلتكن مشية تدل على التهاب المفاصل إنما مع خطوة ذات وقار! اليك ، هذا شبيه بها ، والعنق ملتو قليلا... كحصان

؛ في كسب تعاطف المحقق في الطرف الآخر من الخيط مبنية على أساس تورية لغوية .

سيرك عجوز جدا... (يجرّبها ويرفضها) . لا ، هناك واحدة أفضل حتى : «الزحف» مع ارتعاشة صغيرة في النهاية (يجربها) . لابأس بها! و«الركبة الطرية» (يجربها) . أو ربما الساق المتيبسة النطاطة! (يجربها : خطوات صغيرة سريعة متناوبة على الكعب والأصابع) . يا الهي ، وماذا عن النظارات لا ، دون نظارات... العين اليمنى مغمضة قليلا... اليك ، هذه هي ، تعبير يدل على الحول ، قليل الكلام... سعلة خفيفة : كح كح ، لا ، دون سعال... تقلصات لا ارادية في الوجه مثلا ؟ حسنا ، سنفكر في بعضها في الوقت المناسب اذا دعت الضرورة ، أسلوب متملق ، صوت أنفيّ ؟ طلق المحيّا مع انفجارات حادة مفاجئة : «لا أيها الرئيس العزيز ، عليك أن توقف ذلك . أنت لست رئيس سجّاني معتقل فاشي الآن ، عليك أن تُذكّر نفسك بذلك بين الحين والآخر!» لا النمط المعاكس تماما سيكون أفضل : لهجة باردة حيادية آمرة ، صوت رتيب ، حزين ، نظرة تدل على قصر النظر... مع نظارات ، ولكن بعدسة واحدة ، كهذه (يقوم ببروفة واحدة سريعة ، وهو يقلب في الوقت نفسه بعض الأوراق) . حسنا ، ما رأيك في ذلك ؟ يا الهي ، الأوراق التي كنت أبحث عنها ، إنها هنا تحت بصري! هيا ، اهدأ... يجب أن لا أفقد برودي بهذه الطريقة ، عد إلى الشخصية فورا . انتبه ، من فضلك! (بلهجة آمرة حاسمة) : هل الجميع هنا ؟ لنر · أمر باغلاق وحفظ سجل التحقيق القضائي الصادر عن محكمة ميلانو...

آها ، هناك أيضاً التحقيق في قضية تلك المجموعة الفوضوية في روما ، التي يرأسها الراقص[١] حسنا! (يحشو حقيبته بكل الوثائق ، بعد أن يتأكد أولا من أنها فارغة ، اذ يقلب عاليا سافلها ويهزها) . دقيقة واحدة ، حتى أضمن أنه لم يتبق فيها بعض السلايدات المخبرية... لا يمكن للمرء أن يعرف حقيقة الحقائب العدلية هذه! عليك دائما أن تفحصها قبل الاستعمال[٢] .

(يأخذ الابله معطفا داكنا وقبعة سوداء من مشجب يرتديهما . في هذه اللحظة يدخل المفتش ، ولكنه لا يميز الأبله في هذه الملابس ويصاب بالحيرة فورا) .

المفتش : صباح الخير ، ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك ؟ هل تبحث عن شخص ما ؟

الأبله : لا يا حضرة المفتش ، فلقد عدت لآخذ أوراقي...

المفتش : أوه ، لا ، أنت مرة أخرى! اخرج!

الأبله : اسمع ، قد تكون منزعجا بسبب مشاكلك الخاصة ، ولكن أهذا سبب يدعوك إلى إن تفش خلقك فيّ ؟

المفتش : اخرج! (يدفعه ويجره نحو الباب)

---

(١) « الراقص » المذكور مرات عدة في المسرحية هو « بييترو فالبريدا » وهو فوضوي من سكان روما قبض عليه وأدين بسبب حادثة التفجير في أحد مصارف ميلانو . كان هذا راقص باليه يعمل كمدرب ومحترف . وعلى أية حال ، وبسبب مرض عصبي تفاقم ولم يلق العلاج الطبي المناسب خلال سجنه الطويل ، لم يعد فالبريدا قادرا على الاستمرار في ممارسة مهنته .

(٢) أحد الدلائل ضد فالبريدا في قضية التفجير تقدمت به الشرطة وبعض أعضاء المحكمة وكان ذلك عبارة عن مكيدة مدبرة قامت بها الشرطة بـ « زرع » عدد من « السلايدات » في الدكان الذي كان يقوم فيه فالبريدا برسم نقوش على « اللاماديرات » ليكسب المزيد من الدخل وقد أدعت الشرطة انها وجدت المزيد من « السلايدات » من النوع نفسه والصناعة نفسها ، فيما تبقى من الحقيبة التي كانت تحتوي على القنبلة التي انفجرت داخل « المصرف الزراعي » وقد تبين لاحقا أن هذا الدليل كان احتيالا

الأبله : بحق السماء! أكلكم عصابيون هنا ؟ بدءا بذلك الجانح المجنون الذي يدور باحثا عنك حتى يلكمك على فمك .

المفتش : (يتوقف لحظة) : من هو الذي يدور باحثا عني ؟

الأبله : أحد الأشخاص ، من النمط العابث المترف ويرتدي كنزة ذات قبة عالية ضيقة . ألم يضربك بعد[1] ؟

المفتش : يضربني ؟

الأبله : أجل ، أنت وزميل آخر لك ، شخص يدعى انغاري... انغاريو...

المفتش : انغياري ، مفتش الشرطة من روما... من القسم السياسي ؟

الأبله : وكيف لي أن أعرف ؟

المفتش : ولماذا يريد هذا الشخص العابث المترف أن يضربنا ؟

الأبله : بسبب شخير .

المفتش : شخير ؟

الأبله : أجل ، شخيران في الواقع ، على الهاتف... مصحوبان بضحكة كريهة : ها ها... ألا تتذكر : ها ها!
(يقلد من يحمل السماعة بعيدا من وجهه كما فعل سابقا) .

المفتش : ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم ؟ ما هذا ؟ شخصية أخرى من شخصياتك ؟

الأبله : أجل ، سترى أي نوع من الشخصية هو حين يزين عينيك بدائرة سوداء . ولا أستطيع لومه كذلك... ذلك الجار المسكين من الطابق الرابع .

---

(١) كان المفتش كالبريزي يرتدي غالبا ملابس تعتبر عادية بالنسبة إلى رجل ايطالي يمتهن مهنة مفتش شرطة جاكيت سبور وكنزة ذات قبة عالية ضيقة وليس البذلة وربطة العنق المعتادتين .

المفتش : من ؟

الأبله : زميلك . ألم تقل له دون سابق انذار أنك تأمل أن يتم نقله إلى كالابريا ، في مكتب تحت القبو... هو ورئيسه ، رئيس حرس السجن الفاشي السابق في الجزيرة ؟

المفتش : من ، الرئيس ؟ ذاك الذي...

الأبله : يخطط ويعطيك الأوامر .

المفتش : اسمع ، هذا يكفي . لقد سبق لك وضيعت كثيرا من وقتي . اعمل لي هذا المعروف : اخرج من هنا! انصرف .

الأبله : إلى الأبد ؟ (يرمي اليه بقبل وداع صغيرة . المفتش يومئ محتجا وغاضبا) . حسنا ، حسنا ، سأذهب . وعلى أية حال أنت في حاجة إلى نصيحة صغيرة ، لأني أعتقد أنك شخص لطيف... ما أن ترى جارك «العابث المترف» فان عليك أن تنحني متفاديا اللكمة . خذها نصيحة مني . (يخرج)

(المفتش يتنهد تنهيدة حرى ، ثم يذهب إلى مشجب المعاطف فيجده فارغا) .

المفتش : (يعدو خلف الأبله) : ابن القحبة ذاك يتظاهر بالجنون حتى يسرق معاطف الناس! هاي ، أنت! (يصطدم بالشرطي الذي كان يدخل في تلك اللحظة) : امسك ذاك المجنون ، ذاك الذي كان هنا من قبل . لقد سرق معطفي وقبعتي... وربما حقيبتي أيضا . لا شك أنها كانت حقيبتي! أسرع قبل أن يهرب .

الشرطي : حالا يا حضرة المفتش . (يتوقف وراء الباب وهو

يحادث شخصا في الخارج ، وراء الكواليس) نعم يا سيدي . المفتش هنا . تفضل بالدخول .

(يلتفت إلى المفتش الذي كان يقلب أوراقه ، ويبحث عن الصفحات التي انتزعها الأبله) .

المفتش : ماذا حدث لوثائق الاتهام بحق الجحيم ؟...

الشرطي : يا سيد برتوتسو ، المفتش من القسم السياسي هنا ، وهو يريد التحدث اليك .

(المفتش برتوتسو يرفع رأسه عن مكتبه ، ينهض ، ثم يذهب للقاء زائره باتجاه الكواليس اليمنى) .

المفتش : مرحبا أيها الصديق القديم... كنت أتحدث عنك منذ دقيقة فحسب مع ذلك المجنون المخبل الذي كان يقول لي ـ ها ها اسمع ماذا ـ انك ما إن تراني حتى... (تندفع ذراع من خلف الكواليس . برتوتسو يجد نفسه مرميا على الأرض ولكنه يجد القوة على انهاء جملته) تلكمني على فمي . (ينهار)

(يظهر رأس الأبله في المدخل . يصرخ) :

الأبله : نصحته أن ينحني متفاديا اللكمة!

(الأضواء تطفأ . نسمع فاصلا موسيقيا ونحن في الظلام ، ربما مارشا عسكريا ذا وقع من نوع «الغروتسك» كذاك الذي يستعمل في عروض الڤودڤيل ، على أن يستمر المارش وقتا كافيا لتبديل الديكور) .

المشهد الثاني

(حين تعود الأضواء نرى مكتبا مشابها للأول . الأثاث نفسه تقريبا ، باستثناء أنه مرتب على نحو مختلف . صورة كبيرة لرئيس الدولة معلقة على الجدار الخلفي ، وهناك جدار آخر أبرز ما فيه نافذة مفتوحة مرئية من أية زاوية . الأبله موجود على الخشبة . يقف جامدا تماما وفي مواجهة النافذة وظهره إلى الداخل . بعد لحظات قليلة يدخل مفتش عبر الباب وهو يرتدي «جاكيت سبور» وكنزة ذات قبة عالية وضيقة) .

المفتش ذو الملابس العادية : (بلهجة خفيضة مخاطبا الشرطي الواقف دون حراك عند الباب) : من هذا ؟ ما يريد ؟

الشرطي : لا أعرف يا سيدي . لقد اقتحم المكان كأنه ملك له ، كأنه الرئيس نفسه . ويقول إنه يريد أن يكلمك أنت والرئيس .

المفتش ذو الملابس العادية : (الذي كان يمد يده اليمنى باستمرار) : آه ، يريد أن يكلمنا ؟ (يقترب من الأبله بأسلوب خنوع) : مساء الخير ، هل لي أن أساعدك ؟ قيل لي أنك تبحث عني .

الأبله : (يحدق إليه بهدوء وهو يومئ باشارة خفيفة جدا إلى أنه يميل قبعته) : مساء الخير . (تستقر تحديقته إلى اليد التي كان المفتش لايزال يمدها) . ما الذي جرى ليدك ؟

المفتش ذو الملابس العادية : أوه ، لا شيء . هل لي أن أسألك من أنت ؟

الأبله : أنت لم تؤذ يدك ؟ اذن لماذا تمدها ؟ هكذا ؟ لتعطي انطباعا يدعو إلى الاهتمام ؟ حركة عصبية ؟

المفتش ذو الملابس العادية : (تظهر عليه امارات الغضب) : ربما . ولكني سألتك : هل لك أن تشرح لي من أنت ؟

الأبله : كنت أعرف أسقفا يمد يده بهذه الطريقة... وكان يسوعيا .

المفتش ذو الملابس العادية : هل أنا على خطأ ، أو هل أنت...

الأبله : طبعا أنت على خطأ! على خطأ تماما إن كنت تحاول أن تدس في الأذهان إني كنت أُلمّح إلى نفاق اليسوعيين الذي تضرب به الأمثال... وأولا وقبل كل شيء ، اذا سمحت لي ، فأنا درست في مدارس اليسوعيين : وماذا في ذلك ؟ هل لديك اعتراض ؟

المفتش ذو الملابس العادية : (محرجا ومأخوذا على حين غرة) : يا للسماء ، لا... لا... أعني...

الأبله : (يغير لهجته فورا) : على أية حال ، فان ذلك الأسقف الذي ذكرته لك كان منافقا بالفعل ، وكذابا كبيرا أيضا .

وكان يمد يده باستمرار .

المفتش ذو

الملابس العادية : اسمع ، هل لك من فضلك...

الأبله : (دون أن يبدي أي اكتراث) : عليك أن ترى محللا نفسانيا . التمديد المتواصل علامة على انعدام الشعور بالأمان... وعلى عقدة ذنب ، واحباط جنسي . هل تعاني بالمناسبة من مشكلات مع النساء ؟

المفتش ذو

الملابس العادية : (يفقد اتزانه) : أوه ، كرمى للمسيح! (يضرب الطاولة بقبضته بقوة) .

الأبله : (يشير إلى تلك الحركة) : متهور! هذا دليل ، ألا ترى معي ذلك ؟ قل الحقيقة : هذه ليست حركة عصبية... لقد ضربت شخصا ما قبل أقل من ربع ساعة . اعترف بذلك .

المفتش ذو

الملابس العادية : ما الذي تعنيه بأن عليَّ أن أعترف ؟ بدلا من ذلك ، لماذا لا تقول لي بالمرة من ذاك الذي أتشرف بمخاطبته... ؟ كما يمكنك أن تصنع معروفا وتخلع قبعتك... قبل فوات الأوان!

الأبله : أنت على حق (يرفع قبعته ببطء مدروس) . ولكني لم أكن أبقيها على رأسي كنوع من قلة الاحترام ، صدقني . كان ذلك بسبب النافذة المفتوحة . أنا لا أحتمل تيارات الريح ، خاصة على رأسي . ألا تعاني تلك المشكلة ؟ هل تعتقد أن بامكانك اغلاقها ؟

المـفـتش ذو
الملابس العادية : لا ، لا أستطيع .
الأبله : لا يهم . أنا الدكتور ماركو ماريا ماليبييرو ، مستشار أول لدى المحكمة العليا .
المـفـتش ذو
الملابس العادية : قاضٍ ؟ (يكاد يغمى عليه) .
الأبله : نعم ، هذا صحيح . بروفسور متقاعد من جامعة روما ، مع وجود فاصلة بين «متقاعد» و«من» كالعادة .
المـفـتش ذو
الملابس العادية : (مرتبكا تماما) : أرى...
الأبله : (بسخرية عدوانية) : ما الذي تراه ؟
المـفـتش ذو
الملابس العادية : لا شيء . لا شيء .
الأبله : بالضبط . (ثم بعدوانية) : أي لا شيء اطلاقا! من أبلغك أني قادم لتدقيق التحقيق رسميا وكذلك الأمر باغلاقه وحفظه ؟
المـفـتش ذو
الملابس العادية : (في حالة اضطراب شامل) : حسنا ، أنا... بالفعل...
الأبله : الأجدر بك ألا تكذب . هذا أمر يجعلني عصبيا على نحو مريع . أنا أعاني حركة عصبية أيضا . وهي تصيبني هنا على عنقي ، وذلك في اللحظة التي أسمع فيها أية كذبة . أنظر كيف يرتجف عنقي... انظر! والآن ، هل كنت تعرف بأمر قدومي أو لا ؟
المـفـتش ذو
الملابس العادية : (وهو يبلع ريقه بصعوبة) : نعم ، كنت أعرف... ولكني

لم أكن أتوقع قدومك بهذه السرعة... هذا كل ما في الأمر .

الأبله : حسنا ، وهذا بالضبط هو السبب الذي قرر المجلس الأعلى من أجله أن يتم الأمر على عجل . لدينا مخبرونا نحن أيضا... لذلك أمسكنا بكم على حين غرة . آمل ألا يكون لديك اعتراض ؟

المفتش ذو الملابس العادية : (أكثر ارتياحا الآن) : لا ، اطلاقا . (يشير الأبله إلى عنقه المرتجفة) . أعني ، أجل ،... كثيرا . (يومئ إلى كرسي) ولكن تفضل بالجلوس ، ودعني آخذ منك قبعتك (يمسك بالقبعة ، ثم يغير رأيه) أو أنك تفضل ربما أن تبقيها على رأسك... ؟

الأبله : يا للسماء! لا . أبقها أنت إن شئت... حتى أنها ليست قبعتي ، على أية حال .

المفتش ذو الملابس العادية : ماذا ؟ (يذهب نحو النافذة) . هل تريد أن أغلق النافذة ؟

الأبله : لا ، اطلاقا ، لا تزعج نفسك . ولكن لو تتفضل وتنادي على الرئيس . علينا أن نبدأ بأسرع ما يكون .

المفتش ذو الملابس العادية : بكل تأكيد . ولكن ألن يكون من الأفضل لو تنتقل إلى مكتبه ؟ إنه أكثر راحة .

الأبله : نعم ، ولكن ذلك العمل الكريه مع الفوضوي حدث هنا بالذات ، في هذا المكتب ، أليس كذلك ؟

المفتش ذو

الملابس العادية : أجل ، هنا...

الأبله : (يفتح ذراعيه على آخرهما) : حسنا ، اذن!

(يجلس ويخرج بعض الأوراق من حقيبته . عندما نكتشف أنه معه حقيبة أخرى : حقيبة ضخمة يخرج منها كمية من المواد المنوعة : منظار مكبر ، ملقاط ، « خرازة أوراق » ، مطرقة القاضي الخشبية ، وأخيرا نسخة مجلدة من « قانون الجنايات » . في هذه الأثناء ، عند الباب ، نرى المفتش يهمهم بشيء ما في أذن الشرطي) .

الأبله : (وهو لايزال ينظم أوراقه) : أُفضّل يا حضرة المفتش ، أن تتحدث دائما بدرجة الصوت الاعتيادية!

المفتش ذو

الملابس العادية : طبعا ، أنا آسف . (يلتفت نحو الشرطي) اطلب من الرئيس أن يأتي حالا إلى هنا إن كان يستطيع .

الأبله : حتى لو كان لا يستطيع!

المفتش ذو

الملابس العادية : (يصحح نفسه بذل) : أجل ، حتى لو كان لا يستطيع .

الشرطي : (وهو يخرج) حاضر سيدي .

المفتش ذو

الملابس العادية : (ينظر برهة إلى القاضي الذي يرتب وثائقه . كان قد ثبت عددا منها بمسامير « كبس » على الجدار الجانبي واطار النافذة والخزانة . وعلى الفور يتذكر المفتش شيئا) . أوه ، صحيح ، النسخ طبق الأصل! (يمسك

بالسماعة ويضرب رقما) ألو ، هل لي أن أتحدث مع المفتش برتوتسو ؟ أين ذهب ؟ إلى مكتب الرئيس ؟ (يضرب رقما آخر . يقاطعه الأبله) .

الأبله : اعذرني يا حضرة المفتش ، اذا كنت لا تمانع...

المفتش ذو الملابس العادية : نعم يا صاحب الفضيلة .

الأبله : المفتش برتوتسو هذا الذي أنت متهم به ، هل له علاقة باعادة النظر في التحقيق ؟

المفتش ذو الملابس العادية : نعم ، حسنا ، أعني... طالما أن الملف وفيه الوثائق كلها لديه...

الأبله : أوه ، ولكن لن يكون ذلك ضروريا . لديَّ كل شيء معي هنا . لماذا تزعجون أنفسكم باحضار نسخة أخرى ؟ ما الفائدة من ذلك ؟

المفتش ذو الملابس العادية : أنت على حق ، لا فائدة من ذلك .

(من الخارج نسمع صوت رئيس الشرطة الغاضب يقترب ، ثم يدخل هذا وكأنه أطلق من منجنيق . الشرطي يلحق به مرتبكا وعصبيا) .

رئيس الشرطة : أود أن أعرف يا حضرة المفتش ، ما هذا الهراء عن قدومي بأقصى سرعة إلى مكتبك حتى لو كنت لا أستطيع ؟

المفتش ذو الملابس العادية : لا يا سيدي ، أنت على حق... أي أنه... ولكن بما أن .

الرئيس : ولكن بما أن مؤخرتي! هل تمت ترقيتك إلى رئيس لي فجأة ؟ سأقول لك على الفور إن هذا الموقف الاستعلائي الذي تتخذه لا يسرني أبدا . خاصة تلك الطريقة التي تعامل بها زملاءك . بل إنك أصبحت تلكمهم في وجوههم : شكري للرب!

المفتش ذو الملابس العادية : آه ، أجل ، ولكن أنت ترى يا سيدي الرئيس... أن برتوتسو لم يخبرك عن الشخير ، وعن تلك النكتة حول مكتب تحت القبو في كالابريا... (الأبله متظاهرا بأنه يبعد عنه وثائقه القانونية ، يجلس خلف المكتب بعيدا عن النظر) .

الرئيس : ما الذي تبحث عنه بحق الجحيم ، شخير كالابرياني ؟ هيا توقف عن التصرف كالأطفال . يجب أن نكون الآن حذرين بدلا من ذلك ، حيث أن الجميع يراقبوننا... وأولئك الصحفيون اللعينون يتحدثون عن... وينشرون اشاعات قذرة... وتوقف عن محاولة اسكاتي! أستطيع أن أقول أي شيء!... (المفتش يشير إلى القاضي المزيف الذي يتظاهر بأنه لا يهتم بما يجري) . أوه يا الهي ، من ذاك صحفي ؟ لو لم تقل لي... ؟

الأبله (دون أن يرفع عينيه عن أوراقه) : لا تقلق يا حضرة الرئيس . لست صحفيا . ولن تكون هناك أية اشاعات ، أستطيع أن أؤكد لك .

الرئيس : أقدر ذلك .

الأبله : أفهم قلقك وأشاركك إياه ، وفي الواقع حاولت تأنيب

مساعدك هذا قبل أن تفعل أنت .

الرئيس : (ملتفتا إلى المفتش) : حقا ؟

الأبله : لقد لاحظت أن لهذا الشاب شخصية نزقة متعصبة بالأحرى ، ويبدو لي الآن ، من حواركم ، أنه حساس أيضا للشخير الكالابرياني... الذي هو واحد من ألطف الأشكال ، بيني وبينك ، هذا اذا ما قارناه بذلك القادم من «سورينتو» أو «كابوا» هل لديك أية معرفة بهذا الموضوع (يأخذه جانبا بأسلوب من يريد أن يفضي بسر ، بينما يلحق به الرئيس مندهشا) .

الرئيس : لا ، أنا فعلا...

الأبله : (يتكلم في أذنه تقريبا) : خذ نصيحتي ، يا حضرة الرئيس أنا أكلمك كأب : هذا الشاب يحتاج إلى طبيب نفساني جيد ما رأيك أن ترسله إلى صديق لي ، وهو عبقري (يعطيه بطاقة) . الدكتور أنطونيو رابي... بروفسور متقاعد... ولكن إياك أن تهمل «الفاصلة» .

الرئيس : (يعرف كيف يخلص نفسه) : شكرا جزيلا ، ولكن إن لم يكن لديك مانع... فأنا...

الأبله : (يغير لهجته فجأة) طبعا لا مانع عندي . أرجو أن تجلس وهيا نبدأ... وبالمناسبة هل أعلمك مساعدك أنني...

المفتش ذو الملابس العادية : لا ، أنا آسف ولكن لم تتح لي الفرصة . (يلتفت نحو الرئيس) الدكتور ماركو ماريا ماليبييرو ، وهو مستشار أول لدى المحكمة العليا...

الأبله : انس بحق السماء مسألة «مستشار أول» تلك ، إنها لا تعني شيئا لي... لم لا تقول : واحد من المستشارين الأوائل ، وتترك الأمر هكذا .

المفتش ذو الملابس العادية : حسنا جدا اذا كنت تفضل ذلك .

الرئيس : (يجد صعوبة كبيرة في تمالك نفسه بعد تلك الضربة) : يا صاحب الفضيلة... لم تكن لديَّ في الحقيقة أية...

المفتش ذو الملابس العادية : (يأتي لنجدته) : القاضي موجود هنا للقيام بمراجعة للتحقيق في قضية...

الرئيس : (باندفاع غير متوقع) : آه ، بكل تأكيد ، بكل تأكيد ، كنا في انتظارك .

الأبله : (مخاطبا المفتش) : أترى ؟ رئيسك أكثر صدقا بكثير! إنه يضع أوراقه على الطاولة مباشرة . عليك أن تحذو حذوه ولكن هذا بالطبع جيل آخر ، ذرية مختلفة...

الرئيس : نعم ، ذرية مختلفة .

الأبله : اسمع ، آمل ألا تنزعج مما سأقوله لك الآن ، ولكنك تبدو... كيف أقولها... تبدو مألوفاً لي... كأني قابلتك في مكان ما ، منذ سنوات كثيرة . هل كنت يا ترى في جزيرة السجن ؟

الرئيس : (يتلعثم) : جزيرة السجن ؟

الأبله : أوه ، ما هذا الذي أقوله ؟ رئيس شرطة على جزيرة السجن ؟ فكرة مضحكة... فلنعد إلينا!

الرئيس : إلينا![1]

الأبله : (يحدق اليه بتجهم) : نعم! (يشير بإصبعه اليه) لا ، لا لا ، لا ، هذا مستحيل . يكفي هلوسة! (يفرك عينيه بينما يهمس المفتش بسرعة كبيرة شيئا ما في أذن الرئيس الذي ينهار فوق كرسي . يشعل لفافة تبغ بعصبية) . والآن ، هيا بنا ننزل إلى الواقع . هنا ، حسب هذه النسخة (يقلب بعض الأوراق) الصفحات... ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، (يسعل الرئيس بعنف كأنه قد ابتلع اللفافة بالمقلوب)[2] في مساء يوم... لا أهمية للتاريخ... تم جلب فوضوي ، عامل اشارة في السكة الحديد ، إلى هذه الغرفة بالذات للاستجواب بتهمة مشاركته في نسف مصرف بالديناميت ، مما تسبب في وفاة ستة عشر مواطنا بريئاً . والآن ، هذا هو اقتباس دقيق من كلامك يا حضرة الرئيس : « كان هناك دليل مادي خطير ضده » هل قلت ذلك ؟

الرئيس : نعم يا صاحب الفضيلة ، في البداية . ولكن فيما بعد...

الأبله : ونحن لانزال هنا ، في البداية تماما . فلنتقدم بالتدريج : حوالى الظهر ، قام هذا الفوضوي ، بعد أن أصابته نوبة من « الرابتوس » ـ مازال الكلام لك يا حضرة الرئيس ـ بعد أن أصابته نوبة من « الرابتوس »

---

(١) خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، كان موسوليني وخطباء سياسيون آخرون يخدرون الجماهير المحتشدة في الاجتماعات الفاشية بالسؤال الخطابي التالي « الى من تنتمي ايطاليا ؟ » وكان الناس يصرخون عند ذاك : « إلينا! » يرفعون أيديهم باستقامة بالتحية الفاشية وهم يصرخون تلك الصرخة .

(٢) تورية لغوية أخرى مبنية على التشابه بين الكلمة الايطالية التي تعني « ثمانية وعشرين » Ventotto وكلمة Ventotene ، وهي اسم السجن الذي كان تحت امرة « الرئيس » سابقا .

قام بالقاء نفسه من النافذة وسقط محطما على الأرض .
والآن قل لي ما هو «الرابتوس» هذا ؟ يفيد «بانديو» أن «الرابتـــوس» هو شكل يائس من أشكال الكذب النفسي الانتحاري يمكنه أن يصيب حتى الأشخاص الأصحاء نفسيا ، اذا ما تعرضوا لقلق من نوع عنيف أو لمعاناة شديدة . صحيح ؟

الرئيس والمفتش : صحيح .

الأبله : اذن علينا أن نكتشف من الذي سبب هذا القلق ، هذه المعاناة . ليس أمامنا خيار سوى أن نعيد تمثيل الحادثة : لقد جاء دورك الآن لتدخل إلى المشهد .

الرئيس : أنا ؟

الأبله : نعم هيا بنا . هل لديك مانع أن تدخل دخولك الشهير لأجل خاطري ؟

الرئيس : اعذرني ، أي دخول شهير ؟

الأبله : ذاك الذي سبب «الرابتوس» .

الرئيس : يا صاحب الفضيلة ، لا شك أن هناك خطأ ما . لم أكن أنا هو الذي قام بذلك الدخول ، ولكن أحد مساعديّ ، أحد الزملاء .

الأبله : ها هه! ليس لطيفا أن تلقي بالمسؤولية على واحد من عناصرك . هذا يدل في الواقع على سوء السلوك . هيا ، تمالك نفسك والعب دورك...

المفتش ذو الملابس العادية : ولكن يا سيدي القاضي ، كانت تلك واحدة من الحيل المتبعة عادة في كل دائرة شرطة... مجرد اجراء روتيني

لجعل المتهم يعترف .

الأبله : لا أتذكـر أني طلبت رأيك! أرجـو أن تتـفـضل وتتـرك لرئيسك فرصة الكلام! أنت وقح جدا ، هل تعرف ذلك ؟ من الآن فـصاعـدا لا تجب الا اذا سُئلت ، هل فـهـمت ؟ والآن يا حضرة الرئيس أرجو أن تؤدي مشـهد الدخول لي ، واستعمل صيغة المتكلم .

الرئيس : حسنا . لقد جرت الحادثة هكذا تقريبا : كان الفوضوي المشبوه جالسا هناك حيث أنت الآن تماما . مساعدي... أعني ، إني اندفعت مقتحما المكان...

الأبله : جيد!

الرئيس : وانقضضت عليه!

الأبله : هكذا أحب سماعها .

الرئيس : أوكي ، يا صـديقي عـامل السكة الحـديد... والمـخـرب أيضا... الأفضل أن تتخلى عن محاولتك تضليلي...

الأبله : لا ، لا ، أرجو أن تلتزم بالسيناريو! (يريد النسخة) لا رقابة هنا . لم تقل هذا .

الرئيس : حسنا ، نعم... لقد قلت : لقد عبثت بما فيه الكفاية!

الأبله : لا شيء زيادة من «عبثت» ؟

الرئيس : نعم وأقسم على ذلك .

الأبله : أصدقك . هيا ، استمر ، وكيف انهيت كلامك .

الرئيس : لدينا دليل على أنك الذي زرع القنابل في المحطة .

الأبله : أية قنابل ؟

الرئيس : (بلهجة أقرب إلى لهجة الحديت العادي) : أنا أتحدث عن الهجوم التخريبي الذي حدث في الخامس والعشرين من...

الأبله : لا ، أجب بالكلمات نفسها التي استعملتها في ذلك المساء . تظاهر أني أنا الفوضوي عامل السكة الحديد . هيا ، لا تخف : أية قنابل ؟

الرئيس : لا تمارس عليَّ حيلة البراءة! أنت تعرف بالضبط أية قنابل أتحدث عنها : تلك التي زرعتموها أنتم في عربات السكة الحديد في المحطة المركزية ، منذ ثمانية أشهر .

الأبله : ولكن هل كان لديك ذلك الدليل فعلا ؟

الرئيس : لا ، ولكن كما كان المفتش يحاول أن يشرح من قبل ، كانت تلك احدى الحيل التي نستعملها نحن الشرطة غالبا .

الأبله : ها ها! يا له من كلام! (يضرب الرئيس المأخوذ على كتفه) .

الرئيس : ولكن كانت لدينا شكوك... طالما أن المشبوه كان العامل الفوضوي الوحيد في السكة الحديد في ميلانو ، فقد كان من السهل أن نستنتج أنه كان من...

الأبله : طبعا ، طبعا هذا واضح ، بديهي . اذن ودون أدنى شك كان أحد عمال السكة الحديد هو الذي زرع القنابل في السكة ، ونستطيع أن نستنتج منطقيا أيضا أن من زرع تلك القنابل الشهيرة في محكمة روما كان قاضيا ، كما أن قائد الحرس هو الذي وضع القنابل تحت نصب الجندي المجهول ، وأن القنبلة التي زرعت في المصرف الزراعي زرعها أما موظف مصرفي أو مزارع ، اختر من

تشاء![1] (يغضب فجأة) هيا أيها السادة ، لقد جئت إلى هنا لاجراء تفتيش جدي ، لا لألعب ألعابا منطقية بلهاء فلنستأنف عملنا! يقول ما كتب هنا (يقرأ من احدى الصفحات) : «لم يبدُ على الفوضوي أنه تأثر لدى سماعه هذا الاتهام ، ولكنه ابتسم غير مصدق» من الذي كتب هذه العبارة ؟

المفتش ذو الملابس العادية : (والذي سنسميه «المفتش» من الآن فصاعدا) : أنا يا صاحب الفضيلة .

الأبله : جيد . اذن فقد كان يبتسم... ولكن هناك ملحوظة أخرى هنا ، وبكلماتك بالضبط... والتي كررها أيضا القاضي الذي أنهى التحقيق : «الخوف من فقدان الوظيفة ، من الطرد ، قد ساهم حتما في الانهيار الذي أصاب المشبوه وتسبب في انتحاره» ما هذا ؟ أولا كان يبتسم غير مصدق ، ثم فجأة يخاف إلى هذا الحد . ومن أخافه ؟ من الذي قال له أنه سيطرد من عمله دون انذار ؟

المفتش : لا ، أقسم أنه فيما يخصني أنا...

الأبله : من فضلك ، لا تجعلونا نحاول جعل هذه المسألة تبدو عديمة الجدوى . لكأنكما زوج من الملائكة! ما هذا بحق الجحيم ؟ كل شرطي في هذا العالم يستعمل القوة ، فكيف حدث أن تكونا أنتما هما الوحيدان اللذان يرتديان القفازات الحرير ؟ أعني أنه من حقكما

---

(١) كل هذه الهجمات حدثت في اليوم نفسه تقريبا . ورغم انه لم تكن لأي منها نتائج رهيبة كتفجير «المصرف الزراعي» ، فقد تبين لاحقا أنها كانت كلها من صنع المجموعات الناشئة الحديدة .

استعمال القوة .من يخدع من ؟

الرئيس والمفتش : شكرا يا صاحب الفضيلة .

الأبله : عفوا ، عفوا . ومن ناحية أخرى ، وكما نعرف ، فان ذلك يكون محفوفا بالمخاطر أحيانا... تقول لفوضوي ما : «الأمور لا تبدو مقلقة لك ، ولكن حين سنقول لمدير السكة الحديد إنك فوضوي ، فسوف يلقون بك إلى الشارع... معلبا!» فيصاب الفوضوي بالكآبة ، والحقيقة هي أن الفوضوي يهتم بعمله أكثر من أي شيء آخر ، في الأساس ، الفوضويون بورجوازيون صغار... متعلقون بمتعهم الصغيرة : راتب ثابت كل شهر ، حوافز ، مكافآت ، راتب تقاعدي ، ضمان صحي ، شيخوخة هادئة... صدقوني : لا أحد يفكر في الشيخوخة والتقاعد أكثر من الفوضويين . طبعا أنا أتحدث عن النوعية التي تنمو لدينا محليا ، تلك الأنماط السهلة القياد والمدجنة . لم يعودوا الآن كما كانوا في الأيام السابقة . كان أولئك يطاردون من بلد إلى آخر . هل تعرف معنى أن يكون المرء مطارداً أيها الرئيس ؟ يا الهي ، ما الذي أقوله ؟ حسنا ، لنختصر فنقول : أنت تقوم بضرب الفوضوي عاطفيا ، وهو يصبح غاضبا وكئيبا ، ويرمي بنفسه من النافذة...

المفتش : لو سمحت لي يا صاحب الفضيلة... فاني أقول لك بكل صدق إن الأمر لم يحدث فورا . أنت لم تصل إلى دوري أنا بعد .

الأبله : أنت على حق ، لم أصل بعد حقا . لقد حدث الجزء

الأول وأنت لاتزال في الخارج أيها المفتش . ثم عدت فدخلت ، وبعد وقفة درامية قال... تعال أيها المفتش ، قل دورك على أساس أني لاأزال أمثل دور الفوضوي .

المفتش : حسنا ، سأفعل ذلك بالطبع : «لقد استدعوني من روما للتو . هناك خبر جيد لك : صديقك... أعذرني ، رفيقك الراقص ، قد اعترف . لقد اعترف بأنه من زرع تلك القنبلة في المصرف في ميلانو» .

الأبله : وعامل السكة الحديد ، كيف كان رد فعله على هذا الخبر ؟

المفتش : لم يستقبل الخبر على نحو طيب جدا . شحب وجهه وطلب لفافة وأشعلها...

الأبله : ثم قفز .

الرئيس : لا ، ليس في الحال .

الأبله : في الرواية الأولى ، قلت : «في الحال» أليس كذلك ؟

الرئيس : نعم ، هذا صحيح .

الأبله : وعلاوة على ذلك ، ففي ملاحظاتك التي ذكرتها أمام رجال الصحافة والتلفزيون ، قلت أن الفوضوي كان يشعر أنه ضائع وذلك قبل القيام بحركته المأسوية تلك . كان «قلقا» . هل قلت ذلك ؟

الأبلة : وما الذي قلته أيضا ؟

الرئيس : إن دفعه بالغيبة ، عذره بأنه كان يقضي عصر ذلك اليوم الشهير الذي جرى فيه الهجوم الفوضوي وهو يلعب الورق في أحد البارات قرب القناة ، دفعه بالغيبة هذا قد انهار . لم يعد مقبولا .

الأبله : لذلك ، أصبح الفوضوي موضع شك كبير في أنه مسؤول عن تفجير المصرف في ميلانو وكذلك مهاجمة القطارات وفي الختام أضفت أن انتحار الفوضوي كان «ايماءة» واضحة تدل على اتهام الذات .

الرئيس : نعم لقد قلت ذلك .

الأبله : وأنت أيها المفتش صرخت قائلا أن ذلك الفوضوي كان خلال حياته منتهكا للقانون ، مثيرا للمشكلات . ولكن بعد أسابيع قليلة فحسب صرخت أنت أيها الرئيس حسب هذه الوثيقة بأنه لم يكن هناك بالطبع ، وأكرر «بالطبع» أي دليل مادي محسوس ضد ذلك الشخص المسكين . صحيح ذلك فقد كان بريئا تماما . وأنت نفسك علقت أيها المفتش قائلا : «كان ذلك الفوضوي شابا طيبا» .

الرئيس : أجل ، سأعترف... بأننا ارتكبنا خطأ...

الأبله : يا الهي ، أي شخص يمكنه أن يرتكب خطأ . ولكن أنتم أيها الشباب ، لو سمحتم لي بقول ذلك ، قد ارتكبتم خطأ فادحا . فأولا قمتم باعتقال مواطن حر ، ثم أسأتم استعمال سلطتكم بأن ابقيتموه محتجزا فترة أطول من الفترة القانونية ، وبعد ذلك سببتم للعامل المسكين صدمة بأن قلتم له أن لديكم الدليل على أنه وضع الديناميت في السكة الحديد . ثم جعلتموه يعاني عن عمد هوس فقدانه لعمله ، ثم قلتم له إن دليل غيابه بأنه كان يلعب الورق قد انهار تماما ، وأخيرا ، جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير : إن صديقه ورفيقا له من روما

قد اعترفا بأنهما مسؤولان عن مجزرة ميلانو... صديقه قاتل قذر ؟! إلى حد إنه صرخ يائسا : «هذه هي نهاية الحركة الفوضوية» . ثم يقفز من النافذة! يا الهي ، هل نحن جميعا مجانين ؟ حتى ذلك الحين ، من كان سيدهش لو أن شخصا أثير على هذا النحو أصيب بنوبة من «الرابتوس» ؟ أوه ، لا ، لا ، لا ، أنا آسف ، ولكن في رأيي أنتم مذنبون ، وكيف! ؟ أنتم مسؤولون تماما عن موت الفوضوي! وهناك أسباب لاتهامكم مباشرة بالحض على الانتحار!

الرئيس : ولكن يا صاحب الفضيلة ، كيف يمكن ذلك ؟! لقد قلت أنت نفسك إن وظيفتنا هي استجواب المشبوهين ، وحتى نجعلهم يتكلمون ، فعلينا بين الحين والآخر أن نستعمل حيلا وأفخاخا وعنفا سيكولوجيا إن أقتضى الأمر...

الأبله : أوه ، لا ، في هذه الحالة نحن لا نتحدث عن عنف «أن اقتضى الأمر» بل عن عنف مستمر! أولا وقبل كل شيء ، اليكم مثلا واحدا : هل لديكم دليل مطلق على أن عامل السكة الحديد المسكين كان يكذب فيما يخص دفعه بالغيبة ، نعم أم لا ؟ أجيبوني!

الرئيس : لا ، لم يكن لدينا دليل مطلق... ولكن...

الأبله : لست مهتما في «لكن» تلك . أليس هناك اثنان أو ثلاثة من العمال المتقاعدين ممن يؤيدون دليل غيابه ؟ نعم أو لا ؟

المفتش : نعم ، هذا صحيح .

الأبله : اذن ، فلقد كذبتم على الصحافة والتلفزيون حين قلتم أن دفعه بالغيبة قد انهار وأنه كانت هناك دوافع جدية للشك فيه ؟ عندها لا تستعملون هذه الافخاخ والخطط والأكاذيب وغيرها للايقاع بالمشبوهين فحسب ، بل لاستغلال أولئك المغفلين السذج في الخارج هناك لجعلهم يصدقونكم! (يحاول الرئيس أن يقاطعه) أرجو أن تسمح لي أن أكمل حديثي : هل سبق لأحد أن قال لكم إن نشر اشاعات كاذبة أو مضللة جريمة خطيرة ؟

الرئيس : ولكن مساعدي ذاك قد وعد...

الأبله : أوه ، ها نحن نحاول من جديد أن نلقي باللوم على الآخرين . حسنا اذن أيها المفتش ، أجبني أنت هذه المرة : من أين حصلت على النبأ بأن الراقص الفوضوي قد اعترف ؟ لقد قرأت وثائق التحقيق (يريهما الوثائق) ، ولا اشارة فيها إلى أن الفوضوي المذكور قد اعترف ولو مرة واحدة بمسؤوليته عن مجزرة المصرف . هل اخترعت ذلك الاعتراف أيضا ؟ أجبني!

المفتش : نعم ، لقد اخترعناه بأنفسنا .

الأبله : واو! يا لها من مخيلة! كان يتوجب أن تكونا كلاكما مؤلفين . وصدقاني ، ربما ستسنح لكما الفرصة . السجن مكان عظيم للتأليف . أنتما تشعران بالاحباط ، أليس كذلك ؟ حسنا اذن ، حتى أكون صادقاً معكما أفضل أن أبلغكما أن لديهم في روما تهمة قوية ضدكما . كلاكما مقضي عليه! لقد قررت وزارتا العدل والداخلية التخلص منكما ، حتى تكونا عبرة لمن

يعتبر ، وحتى يمكن اعادة الاعتبار إلى مصداقية الشرطة... حيث لم يعد يثق بها أحد اطلاقا .

الرئيس : لا ، هذا مستحيل!

المفتش : ولكن كيف يمكنهم ذلك ؟

الأبله : ممكن ، بتدمير شخصين . هذه هي السياسة ، يا أصدقائي . أولا كنتما ملائمين لمخطط معين : التحريض النقابي كان لا بد من قمعه ، وكان هناك جو حملة ملاحقة حقيقية . ولكن الأمور غيرت اتجاهها قليلا الآن... الناس يحتجون على موت ذلك الفوضوي المسكين ، انهم يطالبون بزوج من الرؤوس ، والدولة ستمنحهم ما يريدون!

الرئيس : رأسينا ؟

المفتش : بالضبط!

الأبله : هناك مثل انكليزي قديم يقول : «النبيل يطلق كلابه على الفلاحين ، واذا ما اشتكى الفلاحون إلى الملك ، فان النبلاء ينشدون عفوه بقتل الكلاب» .

الرئيس : وأنت... حقا... متأكد ؟

الأبله : ولِمَ تظنني هنا ؟ إن مهمتي هي الحكم عليكما .

المفتش : يا لها من مهمة لعينة!

الرئيس : أعرف من طعنني في الظهر . آه ، ولكني سأعرف أيضا كيف أرد له الصاع صاعين .

الأبله : طبعا ، هناك الكثيرون ممن سيفرحون بمصيبتكم... وسيشمتون ويضحكون من السعادة...

المفتش : طبعا ، وأولهم زملاؤنا . وهذا ما يجعلني حانقا بالفعل .

الرئيس : هذا اذا لم نذكر الصحافة .

المفتش : سيمرغوننا في الوحل . ألا تكفينا الفضائح اليومية ؟

الرئيس : تستطيع أن تتصور أي نوع من الكلام سيقولونه عنا... أولئك الأنغال أولاد الحرام الذين اعتادوا أن يتحلقوا من حولنا ليلعقوا أيدينا... سيتحولون إلى عصابات من الرعاع تطالب باعدامنا دون محاكمة .

المفتش : «كان ساديا ، مجرما عنيفا!»

الأبله : ولا تنس الاذلال... الضحك الساخر...

الرئيس : التعليقات الحقيرة... الجميع سيتخلون عنا... لن نكون قادرين حتى على الحصول على وظيفة مراقب لموقف سيارات .

المفتش : عالم قذر لعين!

الأبله : لا ، حكومة قذرة لعينة!

الرئيس : في هذه المرحلة يمكنك ربما أن تقول لنا : هل هناك ما تبقى لنا لنفعله ؟ أرجو أن تعطينا بعض النصيحة .

الأبله : أنا ؟ ما الذي أستطيع أن أقوله لكما ؟

المفتش : أعطنا نصيحة .

الأبله : لو كنت في مكانكما...

الرئيس : في مكاننا ؟

الأبله : لكنت رميت بنفسي من النافذة!

الرئيس والمفتش : ماذا ؟

الأبله : لقد طلبتما نصيحتي . ووفق الظروف الحالية ، فالأفضل لكما أن تقفزا من النافذة من أن تواجها كل ذلك الاذلال! هيا ، يمكنكما أن تفعلا ذلك .

الرئيس : نعم ، أوكي . ولكن كيف سيمكن لذلك أن يغير أي شيء ؟

الأبله : بالضبط ، لن يغير أي شيء . استسلما لـ «الرابتوس» واقفزا!

(يدفع بهما نحو النافذة)

المفتش والرئيس : كلا ، لا تفعل ، انتظر!

الأبله : ما الذي تعنيانه بـ «انتظر» ؟ وماذا تنتظران ؟ ما الفائدة من البقاء في هذا العالم الكريه ؟ وهل تسميان هذه حياة ؟ عالم قذر ، حكومة قذرة... كل شيء قذر! فلنقفز من النافذة! (يجرهما نحو الأمام بعنف إلى حد أنه يكاد يمزق ملابسهما) .

الرئيس : لا ، أرجوك يا صاحب الفضيلة ، ما الذي تفعله ؟ مازال لديَّ أمل .

الأبله : لم يعد هناك أمل . كلاكما مقضي عليه ، ألا تفهمان ذلك ؟ لقد قضي عليكما!

الرئيس والمفتش : النجدة! لا تدفعنا... أرجوك! لا!

الأبله : لست أنا الذي يدفعكما بل هو «الرابتوس» . تحية لـ «الرابتوس» المحرر! (يمسك بهما من الحزام ويجبرهما على الجلوس على حافة النافذة) .

الرئيس والمفتش : كلا ، كلا! النجدة! النجدة!

(يدخل الشرطي الذي كان قد غادر الغرفة في بداية التحقيق)

الشرطي : ما الذي يحدث يا سيدي ؟

الأبله : (يرخي قبضته) : أوه ، لا شيء ، لم يحدث شيء .

صحيح يا حضرة المفتش هيا ، أطلبا من الشرطي أن يريح باله .

الرئيس : (وقد بدت عليه الصدمة وراح ينزل من حافة النافذة) : أوه ، طبعا ، كن مرتاح البال... كان ذلك مجرد...

الأبله : « رابتوس » .

الشرطي : « رابتوس » ؟

الأبله : نعم ، لقد حاولا أن يقفزا من النافذة .

الشرطي : هما أيضا .

الأبله : نعم ، ولكن لا تقل ذلك للصحفيين . كرمى للسماء!

الشرطي : لا ، لا .

المفتش : ولكن هذا غير صحيح ، أنت يا سيدي القاضي هو من حاول أن...

الرئيس : صحيح!

الشرطي : هل حاولت أن تقفز من النافذة يا صاحب الفضيلة ؟

الرئيس : لا ، بل كان يدفعنا .

الأبله : هذا صحيح ، هذا صحيح : كنت أدفعهما . وقد كادا يقفزان . كانا يائسين . أصغر حجة تكون كافية حين يكون المرء يائسا...

الشرطي : نعم ، نعم ، أصغر حجة .

الأبله : وانظر اليهما ، مازالا يائسين . انظر الى وجهيهما!

الشرطي : (وقد شجعته ثقة القاضي به) : نعم ، لا شك أنهما يبدوان... ولتعذروني على التعبير... كأنهما قد « عملاها »... كما يقولون...

الرئيس : هاي ، هل جننت ؟

الشرطي : أنا آسف . عنيت أن أقول في المرحاض .

الأبله : هيا ، لا تحزنا... واسحبا «السيفون» كما يقولون . هيا تفاءلوا أيها السادة .

الرئيس : جعلت من السهل قول ذلك . في وضعنا هذا... أقسم لك أني كنت مستعدا للقفز .

المفتش : نعم .

الأبله : ها أنتم أيها السادة ماذا يحدث عندما يستعمل مصطلح «الرابتوس» ؟! ومن كان المخطئ يا ترى ؟

الرئيس : أولئك الانغال في الحكومة ، من غيرهم ؟! أولا هم يحرضونك : «كن شديدا ، أخلق جوا من التخريب ، من الاضطراب الاجتماعي الخطير...» .

المفتش :... والحاجة إلى حكومة قوية يكون خضوع الفرد فيها كاملا» . وأنت ترمي بنفسك في خضم هذه المهمة ،وفي اليوم التالي يحدث ما تعرفه...

الأبله : لا ، اطلاقا . كانت الغلطة أمرا يخصني وحدي تماما .

الرئيس : ما الذي تعنيه ؟ أليس صحيحا أنهم يريدون التخلص منا هناك في روما ؟

الأبله : لا هذا آخر شيء يفكرون فيه .

المفتش : والدليل الطاغي ؟

الأبله : لم يكن هناك أي دليل اطلاقا .

المفتش : والحكاية حول الوزير الذي يريد رؤوسنا ؟

الأبله : كله كلام تافه . الوزراء معجبون إلى درجة الجنون بكم . أنت بؤبؤ العين بالنسبة اليهم . كما أن رئيس مفوضي الشرطة يصبح رقيقا وعاطفيا في كل مرة يسمع فيها

اسمك... ثم ينادي على أمه!

الرئيس : أنت لا تمزح ، أليس كذلك ؟

الأبله : لا اطلاقا! الحكومة كلها تحبكم . وسأحكي لكم شيئا آخر : إن المثل الانكليزي حول النبيل الذي يقتل كلابه مثل مزيف أيضا . لم يسبق أن قتل أي لورد كلب صيد جيد ليُرْضي فلاحا! بل لو حدث أي شيء كان العكس هو الصحيح . واذا ما قتل الكلب في المشاجرة ، سيرسل الملك مباشرة برقية تعزية إلى النبيل ، هذا بالاضافة إلى الزهور وأكاليل الجنازة!

(يحضر المفتش نفسه ليقول شيئا ما ، ولكن الرئيس يوقفه بعصبية) .

المفتش : اذا لم أسئ فهمك...

الرئيس : طبعا أنت أسأت الفهم . دعني أتكلم أيها المفتش .

المفتش : نعم يا سيدي . أعذرني .

الرئيس : لا أفهم يا صاحب الفضيلة لماذا أردت أن تخترع هذه الحكاية الطويلة...

الأبله : الحكاية الطويلة ؟ لا لأنها مجرد واحدة من تلك «المبالغات» أو «الحيل» العادية التي تستعملها المحكمة العليا أحيانا لترى الشرطة مدى تحضر وسائلها... هذا اذا لم نقل اجراميتها .

الرئيس : اذن فأنت لاتزال مقتنعا بأنه لو رمى الفوضوي بنفسه من النافذة ، فقد كنا نحن من حضه على ذلك ؟

الأبله : لقد برهنتم لي على ذلك بأنفسكم منذ لحظات ، حين فقدتم السيطرة على أنفسكم .

المفتش : ولكننا لم نكن حاضرين لحظة أن قفز من النافذة . اسأل الشرطي .

الشرطي : نعم يا صاحب الفضيلة ، ما أن غادرا الغرفة حتى قفز من النافذة .

الأبله : هذا أشبه بقولنا إنه إذا وضع شخص قنبلة في مصرف ثم غادر المكان ، فهو ليس مذنبا ، لأنه لم يكن هناك وقت الانفجار! نحن منطقيون تماما في هذه المسألة!

الرئيس : لا ، لا ، يا صاحب الفضيلة ، هناك سوء فهم... كان الشرطي يشير إلى الرواية الأولى . ونحن نتحدث عن الرواية الثانية .

الأبله : آه . هذا صحيح... لأنه في مرحلة لاحقة كان هناك نوع من التراجع .

الرئيس : حسنا ، لن أقول تراجعا بالضبط ، بل مجرد تصحيح بسيط...

الأبله : صحيح . فلنسمه : ما الذي صححته ؟ (يومئ الرئيس إلى المفتش) .

المفتش : حسنا ، نحن...

الأبله : أحذركم من أن لديَّ أنا أيضا نسخا من الرواية الجديدة . أرجو أن تستمر .

المفتش : لقد صححا زمن الـ... ماذا أسميها ؟... الحيلة .

الأبله : ما الذي تعنيه بزمن الحيلة ؟

الرئيس : نعم باختصار ، قلنا إننا نصبنا الفخ الفوضوي ، اذ حكينا له تلك الحكايات وما شابه حوالي الثامنة مساء وليس في منتصف الليل .

المفتش : أي بكلمات أخرى : في الساعة العشرين .

الأبله : آه ، اذن أنتم تضعون كل شيء ، بما فيه الطيران من النافذة في زمن أبكر بأربع ساعات! نوع من توفير الوقت عن طريق التوقيت الصيفي المطول!

المفتش : لا . ليس الطيران... هذا لايزال في منتصف الليل ، دون تغيير . كان هناك شهود .

الرئيس : كان أحدهم هو ذلك الصحفي الذي كان واقفا هناك في الباحة ، أتتذكر ؟ (القاضي يهز رأسه علامة النفي) . ذاك الذي سمع صوت الخبطة على حافة المبنى ثم على الأرض ، وكان أول من جاء وهو يعدو... وقد سجل الزمن على الفور .

الأبله : حسنا . جرى الانتحار في منتصف الليل وجلسة الحكايات الخرافية في الساعة الثامنة . اذن متى حدث «الرابتوس» ؟ وعلى أية حال اذا استثنينا الدليل المعاكس ، فان مجمل روايتكم عن الانتحار تعتمد على ذلك «الرابتوس» . كل واحد منكم ، من قاضي التحقيق حتى نائب عام المنطقة ، قد الححتم على حقيقة أن ذلك الساذج المسكين قد رمى بنفسه والسبب هو ذلك «الرابتوس» المفاجئ... والآن ، تتخلون عن «الرابتوس» .

الرئيس : لا ، لا... نحن لا نتخلى عن «الرابتوس» اطلاقا...

الأبله : بل تتخلون عنه وزيادة! أنتم تجعلون الانتحار يحدث بعد أربع ساعات كاملة من اللحظة التي دخلت بها ، أو أحد مساعديك ، ولعبتم معه لعبة «الدليل» : الدليل ، لدينا

الدليل «الدليل» . فأين أصبح «الرابتوس» ؟ بعد أربع ساعات ؟ لابد أنكم تمزحون : خلال أربع ساعات يكون الفوضوي قد هضم قطعة من الهراء أكبر بكثير من تلك التي أطعمتموه اياها . كان يمكنكم أن تقولوا له أن «باكونين»(*) كان مجرد واش يعمل مخبرا للشرطة والفاتيكان : كان الأمر سيان في مثل هذه الحالة .

الرئيس : ولكن كان هذا بالضبط ما أردناه يا صاحب الفضيلة!

الأبله : كنتم تريدون أن تقولوا له أن «باكونين» مجرد واش .

الرئيس : لا ، أردنا أن نبرهن أن «الرابتوس» لم يحدث بسبب خداعنا له ، بسبب بياناتنا الكاذبة... وذلك لأن أربع ساعات قد مرت بين ذلك الحين وبين الانتحار .

الأبله : طبعا ، طبعا ، أنت على حق . يا لها من فكرة ممتازة... أنت ذكي فعلا .

الرئيس : شكرا يا صاحب الفضيلة .

الأبله : طبعا ، من المؤكد أنه بهذه الطريقة لا يمكن لأحد أن يضع اللوم عليكم : كانت هناك كذبة قذرة ولكن لا يمكننا اعتبارها عاملا حاسما .

المفتش : بالضبط ، لذلك فنحن بريئان .

الأبله : جيد أيها الشباب . طبعا ، ليس واضحا الآن لماذا رمى ذلك الأحمق المسكين بنفسه من النافذة . ولكن هذا ليس مهما . فالأمر المهم الآن هو أن تخرجوا أبرياء .

الرئيس : شكرا مرة أخرى . أصارحك بأني كنت أخشى أن تكون

(*) باكونين : (١٨١٤-١٨٧٦) فوضوي روسي شهير . المترجم

قد بدأت بالتفتيش وأنت مصمم سلفا على أن تكون ضدنا .

الأبله : مصمم سلفا ؟

المفتش : نعم ، إنك كنت تريدنا مذنبين بأي ثمن .

الأبله : يا للسماء! بل العكس هو الصحيح : أصارحكم بأني لو كنت قاسيا وعدوانيا بعض الشيء فذلك كان لجعلكم تفصحون عن نوع الدليل والبراهين الذي يسمح لي بأن أساعدكم قدر الامكان للخروج من هذه الورطة .

الرئيس : أنا متأثر جدا . إنه لرائع أن نعرف أن المحكمة العليا لاتزال أفضل صديق للشرطة .

الأبله : لنقل أفضل شريك .

المفتش والرئيس : نعم ، لنسمها كذلك .

الأبله : ولكن عليكم أن تتعاونوا معنا أيضا حتى أستطيع مساعدتكم على الدوام... وأضعكم في مكان لا يمسكم فيه أي سوء .

الرئيس : طبعا .

المفتش : هذا من دواعي سرورنا .

الأبله : أولا علينا أن نقدم براهين لا تدحض تثبت أنه خلال تلك الساعات الأربع كان الفوضوي قد سيطر على احساسه بالكآبة... على انهياره السيكولوجي الشهير ، كما أشار اليه القاضي الذي حفظ القضية .

المفتش : حسنا ، هناك شهادة هذا الشرطي ، وشهادتي أنا أيضا ، واللتان تفيدان أن الفوضوي أحس أنه في حالة أحسن بعد فترة كآبة قصيرة أولى...

الأبله : هل هذا موجود في الوثائق ؟

المفتش : نعم ، أعتقد ذلك .

الأبله : نعم نعم ، انها هناك ، انها موجودة في الرواية الثانية للحقائق ها هي ، (يقرأ) : «هدأ عامل السكة الحديد وأفاد أنه هو والراقص السابق لم يكونا في حالة من الوفاق» . ممتاز!

الرئيس : هذا يعني أنه لم ينزعج كثيرا عندما سمع نبأ التعرف على الراقص السابق على أنه المجرم الذي استعمل الديناميت .

الأبله : طبعا ، لم يفكر به كثيرا ، لا كفوضوي ولا كراقص!

المفتش : ربما لم يكن يعتبره فوضويا .

الأبله : أنا مقتنع بأنه كان يزدريه .

المفتش : خلال شجارهما رمى أحدهما الآخر بمملحة .

الرئيس : أوه ، آه ، هذا يجلب سوء الحظ أيضا!

الأبله : وعلينا ألا ننسى أن صديقنا عامل السكة الحديد كان على معرفة بحقيقة أن الكثيرين من الجواسيس ومخبري الشرطة كانوا يحيطون بمجموعة الفوضويين في روما . بل إنه قال ذلك للراقص حتى : «الشرطة والفاشيون يستعملونكم لاشاعة القلق... بينكم الكثيرون من المحرضين المأجورين الذين يدفعونكم في أي اتجاه يريدون . واليسار كله سيدفع ثمن ذلك» .

المفتش : ربما تشاجرا لهذا السبب بالذات!

الأبله : صحيح . وبما أن الراقص لم يصغ اليه ، فان عامل السكة الحديد صاحبنا قد بدأ يرتاب في أنه محرض هو نفسه .

الرئيس : آه ، هذا ممكن .

الأبله : لذلك ، وبما أنه لم يكترث له اطلاقا ، فها هي حجتكم الدامغة : الفوضوي كان هادئا .

المفتش : في الواقع كان يبتسم بالفعل . أتذكر أني قلت ذلك لنفسي في الرواية الأولى .

الأبله : نعم ، ولكن لسوء الحظ هناك مشكلة حيث أنك قلت في الرواية الأولى أيضا إن الفوضوي الذي كان يبدو «منهارا» قد أشعل لفافة وقال بصوت مأساوي : «هذه هي نهاية الحركة الفوضوية» . حسنا ، ما الذي أوحى إليك بتلك الفكرة اللامعة ، فكرة أن تضع مثل هذه الملاحظة الميلودرامية... فكرة البكاء بصوت عال ؟

الرئيس : أنت على حق يا صاحب الفضيلة . الحقيقة هي أن تلك كانت فكرة هذا الشاب . حتى أنني قلت له أن علينا أن نترك المشاهد الدرامية الكبرى لمخرجي السينما... نحن شرطة!

الأبله : اسمعوني : في هذه المرحلة ، اذا كنا نريد أن نجد حلا مترابطا ومنطقيا ، فان الطريقة الوحيدة لمعرفة ما يجري هو أن نرمي بكل شيء في الهواء ونبدأ من جديد .

المفتش : هل نؤلف رواية ثالثة ؟

الأبله : يا للرب الطيب ، لا ، كل ما علينا أن نفعله هو أن نجعل الروايتين السابقتين أكثر قابلية للتصديق .

الرئيس : صحيح .

الأبله : حسنا اذن ، المرحلة الأولى ، القاعدة الأولى : ما قيل قد قيل ، ولا مجال للعودة فيه . لذلك فقد أصبح ثابتا

أنك أيها المفتش وأنت أيها الرئيس ـ أو شخص ما يعمل وفق أوامرك ـ قد رويتما الحكايات الخرافية ، وأن الفوضوي دخن آخر لفافة له ثم تلا تعليقه الميلودرامي... ولكنه ، وهنا يدخل التنويع ، لم يرم بنفسه من النافذة ، لأن الوقت لم يكن منتصف الليل بعد ، بل الساعة الثامنة فحسب .

الرئيس : كما في الرواية الثانية .

الأبله : وكما نعرف ، فان عامل السكة الحديد ينفذ البرنامج الزمني .

الرئيس : الواقع هو أننا بهذه الطريقة سيكون لدينا كل ما نحتاجه من الوقت لنجعله يغير مزاجه... ما يكفي لجعله يؤخر رغبته في الانتحار .

المفتش : هذا دليل لا خلل فيه .

الأبله : صحيح ، ولكن كيف حدث هذا التغيير ؟ الزمن وحده لا يكفي لشفاء جروح معينة . لا شك أن شخصا ما قد ساعده . لا أعرف ، ربما من خلال بعض الايماءات...

الشرطي : لقد أعطيته حبة من العلكة!

الأبله : جيد ، وماذا عنكما أنتما الاثنين ؟

الرئيس : حسنا ، لم أكن هناك...

الأبله : أوه لا ، تلك كانت لحظةٌ حساسة جداً إلى حد انه كان يتوجب وجودك هناك!

الرئيس : أوكي ، كنت هناك .

الأبله : حسنا ، اذن هل يمكننا القول مبدئيا أن الحالة الذهنية القلقة التي كانت تسيطر على الفوضوي قد جعلتك تشعر

بيعض الأسى عليه ؟

المفتش : نعم ، لقد شعرت بالأسى عليه فعلا .

الأبله : وهل يمكننا أن نضيف أنك كنت آسفا لانك جعلته يشعر بالمرارة والكآبة إلى حد كبير... صحيح أيها الرئيس ؟ كونك رجلا ذا حساسية!

الرئيس : حسنا ، نعم ، لقد وجدته أساسا مثيرا للشفقة . كنت أشعر بالأسى .

الأبله : رائع! وأراهن أنك لم تستطع مغالبة الدافع إلى وضع يدك على كتفه .

الرئيس : لا ، لا أعتقد ذلك .

الأبله : هيا ، هذه لفتة أبية .

الرئيس : حسنا ، ربما ، ولكني لا أتذكر .

الأبله : أنا واثق أنك فعلت ذلك! أرجوك قل لي أنك فعلت!

الشرطي : نعم ، هذا صحيح ، لقد فعل ذلك... أنا رأيته!

الرئيس : حسنا ، إن كان قد رآني...

الأبله : (يلتفت إلى المفتش) : وأنت ربتّ بود على خده ، هكذا . (يربت على خده) .

المفتش : لا ، أنا آسف اذا خيبت أملك ، ولكني واثق من أني لم أفعل ذلك... لم أربت عليه قط .

الأبله : أنت تخيب أملي بكل تأكيد . وهل تعرف السبب ؟ لأنه بالاضافة إلى كونه فوضويا وكان ذلك الرجل عامل سكة حديد أيضا! هل نسيت ذلك وهل تعرف ما يعنيه كونه عامل سكة حديد ؟ ذلك يعني شيئا يتعلق بطفولة امرئ منا . إنه يعني دمى قطارات صغيرة كهربائية! ألم يكن

لديك قطار صغير حين كنت طفلا ؟

المفتش : نعم ، كانت لديَّ قاطرة بخارية صغيرة حقيقية يخرج منها الدخان... وعربات مصفحة بالمعدن تجرها وراءها .

الأبله : وهل كانت تصفر : «تو توت» ؟

المفتش : نعم ، «تو توت»!

الأبله : رائع! قلت «تو توت» والتمعت عيناك! لا أيها المفتش ، ما كان عليك سوى أن تشعر ببعض العاطفة تجاه ذلك الرجل... لأنه ، في عقلك الباطن وكان على علاقة بقطارك الصغير . لو كان المشبوه صاحب مصرف مثلا ، لما كنت حتى ستنظر اليه . ولكنه كان عامل سكة حديد وأنت ربت على خده ، وأنا أكثر من واثق انك فعلت ذلك .

الشرطي : نعم ، هذا صحيح لقد رأيته بنفسي... لقد ربت على خده مرتين!

الأبله : هل رأيت ؟ لديَّ شهود! وماذا قلت له وأنت تربت على خده ؟

المفتش : لا أتذكر...

الأبله : سأقول لك ما قلته له ، لقد قلت له : «هيا ، لا تحزن ولا تحمّلها!» (ثم ناديته باسمه) سترى أن الحركة الفوضوية لن تموت! .

المفتش : يا الهي ، لا أعتقد اني...

الأبله : أوه لا... لقد قلت ذلك بربي . والا فاني سأجن . أنظر إلى هذا العصب على عنقي . هل تقرر بأنك قلت ذلك ، نعم أم لا ؟

المفتش : حسنا ، اذا كان من شأن ذلك اسعادك .

الأبله : حسنا قلها اذن . عليَّ أن أضع ذلك في التقرير (يبدأ بالكتابة) .

المفتش : حسنا ، لقد قلت : هيا ، لا تحزن... لا تحمَّلها يا ولد سترى أن الحركة الفوضوية لن تموت!

الأبله : جميل... ثم أنشدتم .

الرئيس : أنشدنا...

الأبله : طبعا ، ما إن وصلتم إلى تلك المرحلة... حتى كان هناك جو من الصداقة والرفاهية بحيث لم تستطيعوا مغالبة الانشاد... لقد أنشدتم في جوقة واحدة! لنسمع ما أنشدتم وأراهن أنه كان النشيد الفوضوي : «العالم وطننا» .

الرئيس : لا ، يا صاحب الفضيلة . أنا آسف ، ولكن فيما يتعلق بالانشاد في جوقة فنحن لا نستطيع التعاون...

الأبله : آه ، أنتم لا تتعاونون ؟ حسنا اذن ، أتعرفون ما أقوله ؟ سألغي المسألة كلها ، وتستطيعون تدبير أموركم للخروج منها بأنفسكم . هذه مشكلتكم سأقوم بترتيب الحقائق كما أوردتموها أمامي بالضبط : وأنتم تعرفون النتيجة . ستكون ـ واعذروني على هذا التعبير ـ فوضى ملعونة! هذا صحيح! أولا تذكرون شيئا ما ثم تتراجعون عنه . تقدمون رواية عما حدث ، ثم تخرجون بعد نصف ساعة بواحدة مختلفة تماما . أنتما حتى لا تتفقان فيما بينكما على ما حدث . هناك ملحوظة هنا تفيد حتى بأن الفوضوي حاول أن يقفز

من النافذة للمرة الأولى ، في عصر ذلك اليوم نفسه ، وفي حضوركما . وحول هذا التفصيل التافه لم تذكرا كلمة واحدة . أنتما تقدمان افادات للصحافة ولمندوبي التلفزيون ، اذا لم أكن مخطئا ، بهذا الأسلوب : طبعا ليس هناك أي محضر عن جلسات التحقيق مع الفوضوي ، لم يكن هناك وقت كاف... ثم بعد فترة ، تحدث معجزة! يُخرج محضرين أو ثلاثة... محاضر موقعة من قبله ، بيده ، بتوقيع واضح تماما![1] لو أن أي مشبوه ناقض نفسه بقدر ما تفعلانه ، أيها القذران ، لكان قد قتل منذ فترة طويلة . هل تعرفان ما الذي يظنه الناس بكما الآن ؟ انكم عصابة من الأشخاص القذرين... الأشرار . كيف يمكنكما أن تتوقعا من أي شخص آخر أن يصدق ما تقولانه ؟ وهل تعرفان السبب الرئيس في أن الناس لا تصدقكما ؟ لأن روايتكما للحقائق ، بالاضافة إلى كونها سخيفة ، تنقصها اللمسة الانسانية... الدفء . لا أحد أيها المفتش يستطيع أن ينسى الطريقة الوقحة المتعالية التي أجبت بها أرملة الفوضوي المسكينة حين سألتك عن السبب في عدم ابلاغها بموت زوجها . ولا لحظة شفقة واحدة ، ولا واحد منكما يسمح لنفسه أن

---

(١) كل الأكاذيب والتحريفات والتناقضات التي يشير اليها «الأبله» خلال هذه المسرحية عبارة عن بيانات صحيحة مستمدة من رواية الشرطة بالذات عن حادثة «بينلي» . وهي ليست مبالغة للادعاء ، كما يفعل «الأبله» هنا ، بأن «الرئيس أنكر أولا وجود نسخة من التحقيق مع الفوضوي ، ثم أنكر ذلك في يوم آخر ، وأخيرا خرج بـ «نسختين» أخذتا من جلسة الاستنطاق نفسها ، ولكنهما مختلفتان تماما الواحدة عن الأخرى» .

تسير على هواها... أن يكشف نفسه... أن يضحك ربما أو يبكي... أو يغني! الناس مستعدون لأن يغفروا كل التناقضات التي قفزتما اليها بكلتا القدمين... ولكن لو استطاعوا أن يروا مقابل ذلك ، ووراء هذه العوائق ، لمحة من قلب انساني... رجلين «حيين» يسمحان لنفسيهما أن يبكيا من الشفقة والتعاطف ، وأن ينضما ، رغم كونهما شرطيين ، إلى الفوضوي حين أنشد نشيده ، وذلك لمجرد أن يدخلا السعادة إلى قلبه... «العالم كله وطننا»... من كان سيمنع نفسه من البكاء ؟ من كان سيرفض أن ينطق باسميكما بفرح لو سمع مثل هذه القصة ؟! أتوسل اليكما! لصالحكما... وحتى تكون نتيجة التفتيش في صالحكما... غنيا!

(يبدأ بالغناء بصوت خفيض ، وهو يشير إلى الشرطي . ثم يبدآن مرتجفين ، وبارتباك واضح ، بمشاركته بالغناء ، الواحد في إثر الآخر) .

«نتجول مشردين في كل أنحاء العالم ،
وفكرة عظيمة واحدة في أذهاننا .
نترك أسرنا وأعزاءنا في حزن وراءنا» .
فلنسمعها بصوت أعلى!

(يمسك بهما من أكتافهما وهو يحثهما على الغناء بصوت أعلى)

«العالم كله وطننا...»
هيا غنيا بصوت أعلى ، اللعنة!
«قانوننا هو الحرية

ومن خلال فكرنا سيخرج
العالم حرا!»
(ببطء ، ومع صوت الجوقة المرتفع ، تعتم الأضواء تدريجيا)

(نهاية الفصل الأول)

الفصل الثاني

(حتى قبل اعادة اشعال الأضواء ، يبدأ الرجال الأربعة بالغناء من جديد كما كان عليه الحال في نهاية الفصل الأول . هذا وتتطابق آخر كلمات الأغنية مع عودة الأضواء إلى الخشبة بكاملها) .

الأبله : (يصفق ، ويعانق الشرطي ويصافحه) : رائع ، جيد! هذا أقرب إلى الأصل! والآن لا يمكن أن يشك أحد في أن الفوضوي كان يشعر بالهدوء التام .

المفتش : أعتقد أنه كان سعيدا .

الأبله : طبعا ، لقد أحس أنه في بيته . بين أعضاء أحد تلك النوادي في روما حيث هناك من رجال الشرطة ما يفوق عدد الفوضويين .

الرئيس : إن هجومنا بالمدفع سريع الطلقات من الأكاذيب لم يدمر وضعه السيكولوجي اطلاقا .

الأبله : لذلك ، لا وجود لـ «الرابتوس» . «الرابتوس» يأتي لاحقا . (يشير إلى المفتش) متى ؟

المفتش : حوالى منتصف الليل .

الأبله : وما سببه ؟

الرئيس : حسنا ، أعتقد أن السبب...

الأبله : لا ، لا ، يا للاله الطيب! لا تعتقد أي شيء . ليس من المفترض أن تعرف أي شيء حول ذلك أيها الرئيس!

الرئيس : ما الذي تعنيه بأنه من المفترض أن لا أعرف أي شيء... ؟

الأبله : كرمى لله ها نحن نجهد أنفسنا لنخرجكم من الورطة ، لنبين أنه لم تكن لكم علاقة بموت عامل السكة الحديد لأنكم لم تكونوا حتى حاضرين...

الرئيس : أنا آسف ، أنت على حق . لقد شردت .

الأبله : ولكنك شردت أكثر من اللزوم أيها الرئيس . عليك أن تنتبه أكثر . وهكذا وكما ورد في احدى عروض الڤودڤيل القديمة : «ليس للرئاسة أي رأس لأن الرئيس كان في الفراش» . ولكن المفتش لم يكن في الفراش!

المفتش : لا ، كنت في المكتب ، ولكني خرجت بعد ذلك بقليل .

الأبله : ها نحن نقوم بازاحة المسؤولية عن كاهلنا مرة أخرى والآن ، كن طيبا وقل لي ما حدث حوالى منتصف الليل .

المفتش : كان هناك ستة منا في هذه الغرفة ، أنا وأربعة رجال شرطة... وملازم أول من سلاح «حملة البنادق»[١] .

الأبله : آه ، أجل ، ذاك الذي تمت ترقيته إلى رتبة نقيب لاحقا .

المفتش : هذا صحيح .

الأبله : وما الذي كان يحدث ؟

---

(١) «حملة البنادق» يمثلون قوة شرطة أخرى على المستوى القومي في ايطاليا . وهم فرع من القوات المسلحة وبالتالي يتبعون السلطة التشريعية لوزارة الدفاع . وعالبا ما يطلب من «حملة البنادق» و«الأمن العام» معالجه القضايا نفسها

المفتش : الاستجواب .

الأبله : لايزال ؟ «وأين كنت أنت ؟ ما الذي تفعله ؟ تكلم! لا تحاول أن تمارس أية حيل»... يا الهي بعد كل تلك الساعات لا شك أنكم كنتم منزعجين تماما... عصبيين... ساخطين .

المفتش : لا اطلاقا يا صاحب الفضيلة . كنا هادئين تماما .

الأبله : ألم تصفعوه ولو حتى قليلاً ؟ ولا حتى بقفا اليد ؟

المفتش : لا .

الأبله : بظاهر اليد ؟

المفتش : لا .

الأبله : على الجانب ؟!

المفتش : على الجانب ؟

الأبله : طبعا ، النوع الذي يستعمل لتدليك السيدات البدينات المصابات بالتهاب النسيج الخلوي... تا ـ تا ـ تا! (يقلد حركة القطع باليدين وبحركة سريعة) آه ، من شأن هذا أن يجعلك تشعر بالراحة ، بالعسل! تا!

المفتش : أوه ، لا ، يا صاحب الفضيلة . لا تدليك . كنا نمزح خلال الاستجواب .

الأبله : هيا ، تمزحون ؟

المفتش : أقسم لك... اسأل الحارس . (يدفع بالشرطي نحو القاضي)

الأبله : ليس هذا ضروريا . هذا لا يصدق . (يخرج ورقة) ولكنه مكتوب هنا في الشهادة الخطية أمام القاضي الذي حفظ التحقيق .

المفتش : بالتأكيد . وهو لم يستفسر عن ذلك .

الأبله : أوه ، أصدق ذلك أيضا . ولكن ما تعنيه بالمزح ؟

المفتش : بمعنى أننا كنا نمزح... كنا نستجوبه محاولين أن نثير الضحك خلال ذلك .

الأبله : لا أفهم . هل كنتم تؤدون كوميديا من النوع الرخيص الذي يتطلب الكثير من الخشونة ؟ هل كنتم ترتدون ملابس المهرجين وتنفخون في صفارات ؟

المفتش : حسنا ، لم نصل إلى ذلك الحد... ولكننا «زودناها» قليلا في المزح والعبث بالمشبوه... والتلاعب اللفظي ، وممارسة بعض «النمر» الروتينية المضحكة...

الشرطي : هذا صحيح ، لقد ضحكنا حقا كالمجانين . قد لا يبدو ذلك على المفتش ولكنه ممثل كوميدي حقيقي . حين يكون في المزاج المناسب سترى ذلك التحقيق الذي «يطقطقُ الخواصر» من الضحك... ها ها ها ، ستموت من الضحك!

الأبله : والآن فهمت لماذا قرروا تغيير شعاركم في روما .

الرئيس : شعار الشرطة ؟

الأبله : نعم ، شعاركم . لقد قرروا ذلك في وزارة الداخلية .

الرئيس : وهل سيغيرونه ؟

الأبله : حسنا ، لنقل إنهم سيكملونه . ما هو الآن ؟

المفتش : «الشرطة في خدمة الشعب» .

الأبله : هذا هو ، من الآن فصاعدا سيصبح : «الشرطة في خدمة الشعب لتسليته!» .

الرئيس : ها ها ، أنت تهزأ بنا .

الأبله : أبدا . أنا أكثر قناعة بأنكم تعاملون المشبوهين بمزاح كما تأكدون... أتذكر أني كنت في «بيرغامو» مرة... عليَّ أن أقول «سان فرانسيسكو» ، ولكن هناك عملية «النقل المسرحي»... كنت في بيرغامو خلال التحقيق مع ما يسمى «حلف الاثنين»... هل تتذكرون ذلك ، كان هناك قسيس متورط في القضية وطبيب وصيدلي... البلدة كلها تقريبا كانت مدانة ، ثم تبين أنها بريئة . على أية حال ، كنت أقيم في فندق صغير قرب مقر رئاسة الشرطة حيث كانت التحقيقات تجري ، وفي كل ليلة تقريبا كان يوقظني صراخ وصياح كنت أظنهما صادرين عن أشخاص يرفسون ويضربون بالهراوات... ولكني اكتشفت لاحقا أنها كانت ضحكات . نعم ، ضحكات خشنة صادرة عن أشخاص يتم التحقيق معهم : «آه ، آه ، أوه يا الهي! يكفي ، آه ، آه! النجدة لا أستطيع احتمال ذلك! يكفي يا حضرة المفتش ، أنت تقتلني!» .

الرئيس : بغض النظر عن السخرية فأنت تعرف أنه قد صدرت عقوبات بحقهم من القائد وحتى أصغر عريف . كلهم!

الأبله : طبعا ، لأنهم «زودوها حبتين» في مزاحهم! (تعابير نفاد الصبر على رجال الشرطة) لا ، لا ، لست أمزح : أنتم لا تدركون كم يخترع أشخاص أبرياء تماما الجرائم حتى يتم احضارهم إلى رئاسة الشرطة!! هل تظنون أنهم فوضويون وشيوعيون ومناضلون في الحركة العمالية[1]

---

(١) «قوة العمال» كانت منظمة يسارية مناضلة ذات نشاط في ايطاليا في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من هذا القرن ولكنها تعرضت لحملة مكثفة من المضايقات والقمع من قبل الشرطة ، فكان أن قضي على هذه المنظمة .

ومنظمو نقابات... ؟ ليس هذا صحيحا ، بل إنهم بالفعل لا شيء سوى أشخاص فقراء ومرضى ومصابين بالكآبة والاحباط . مجرد مرضى حزينين مصابين بالوسواس يتنكرون بملابس الثوريين حتى تقوموا باستجوابهم! تلك هي الطريقة الوحيدة التي يستطيعون بها أن يضحكوا ضحكا جيدا صحيا... أي ينشّطوا دماءهم!

الرئيس : الآن يا صاحب الفضيلة أستطيع أن أقول إنك تفعل أكثر من مجرد خداعنا : أنت تسخر منا بالفعل .

الأبله : يا للسماء ، ما كنت حتى لأحلم بذلك .

المفتش : ولكني أقسم لك أنه في ذلك المساء كنا نمزح مع الفوضوي .

الشرطي : نعم ، هذا صحيح . كنا نمزح وأقسم على ذلك .

الأبله : اخرس أنت ، الضباط فقط هو المسموح لهم بالقسم! (الرئيس يدفع بالشرطي بفظاظة إلى زواية) حسنا اذن ، نستطيع أن نقر بذلك . وحول ماذا كنتم تمزحون ؟

المفتش : حول الفوضوي الرافض بشكل رئيس .

الأبله : آه ، أنت تعني فيما يخص بالتحديد كونه أعرج[1] . راقص فوضوي أعرج... ها ها!

المفتش : نعم ، حول ذلك أيضا...

الأبله : وأتصور أنكم قد مزحتم على نحو قذر حول تفصيل معين ، إنه طالما كان يتعيش من صنع «لمباديرات» من الخرز بأسلوب «الفن الحديث»... فربما كان هو

(١) كان عرج «فالبريدا» الخفيف يعود إلى خلل وظيفي في العضلات والذي اشتد خلال سنوات سجنه .

شخصيا «فنا حديثا» ؟

الشرطي : ها ها ، فوضوي «الفن الحديث»!

الرئيس : اخرس .

المفتش : لا ، لم نصل إلى هذا الحد .

الأبله : أوه ، تعال ، لا تتظاهر بالتواضع . وعلى أية حال فانه من المؤكد أنك كنت تسخر على نحو ثقيل من صديق الفوضوي ، ذلك الراقص ، وأنه هو عامل السكة الحديد قد استاء كثيرا ـ أليس هذا صحيحا ؟

المفتش : اعتقد أن هذا ما حدث .

الأبله : لقد نهض فجأة!

المفتش : أجل ، نهض فجأة...

الأبله : ثم بدأ يصرخ : «هذا يكفي! لم أعد أستطيع احتمال تعريفاتكم . صديقي راقص ، هذا صحيح ، وهو يعمل بضم الخرز ، وهو أعرج... ولكنه رجل ، اللعنة!» ثم قفز بعد أن قال ذلك إلى حافة النافذة ، ثم خطا خطوة مزدوجة سريعة ورمى بنفسه خارجا!

المفتش : نعم ، لا شك أن ذلك حدث بهذه الطريقة . ولكني لا أستطيع أن أقسم على ذلك . لقد سبق وقلت لك اني كنت قد خرجت .

الشرطي : ولكني كنت موجودا! أستطيع أنا الاجابة اذا كنت تريد .

الأبله : لا ، أنت اخرس!

الرئيس : يا الهي! لقد كان ذلك الفوضوي حساسا بالفعل . أن يرمي بنفسه من النافذة لأنهم تلفظوا ببعض التعليقات

الذكية حول صديقه!

الأبله : آه ، ولكن حدث ذلك لأنكم لمستم بقعة حساسة : الفوضويون شديدو الاهتمام بالرجولة! أكثر من أي شخص آخر! ألم تقرأ كتاب «الجنس والفوضوية» لمؤلفه «أوتوفاينيغر» ؟ لا ؟ إنه كتاب ممتاز من الطراز الأول .

الرئيس : ولكن أن ينزعج بسبب صديق لم يكن هو حتى على علاقة جيدة به! لا تنس أن تلك كانت كلماته بالضبط : بل هو رماه حتى بمملحة!

الأبله : هذا صحيح! حسنا ، شكرا لتذكيرك اياي . اذن ما كان ممكنا أنه أصيب بالغضب ، بالانزعاج!

الرئيس : ليس محتملا .

الأبله : إنها خطته الميكافيلية... كان يتظاهر!

المفتش : يتظاهر ؟

الأبله : طبعا ، لقد لعب ذلك الثعلب الماكر مشهد «المهان إلى حد قاتل» كي يوجد مبررا منطقيا لارتكابه الانتحار... هذا منطقي بالنسبة اليكم ، ولكنه غريب بالنسبة إلى الناس الآخرين!

الرئيس : ما تعنيه بقولك بالنسبة إلى الناس الآخرين ؟

الأبله : ألم تفهم ذلك ؟ لقد تحول إلى «كاميكازي» ليدمركم! لقد قفز من النافذة ، وأنت تقدمون تقريرا بالحقائق كما حدثت وبكل سذاجة ، وذلك إلى الصحافة والتلفزيون... ولا أحد يصدقكم ، باستثناء ذلك القاضي المحبوب الذي أغلق ملف التحقيق بالطبع . وبالمناسبة ، اسمعوا ما كتبه هنا في قراره : «لقد كان السبب وراء

«الرابتوس» هو «الكرامة الجريحة»! من ذا الذي يستطيع ابتلاع ذلك ؟ ؟ إنه يبدو كنفاية!

الرئيس : طبعا ، طبعا : يبدو كنكتة تقريبا .

الأبله : اذن فقد انتهيتم على فوهة مدفع بسبب نزاهتكم... والفوضوي ، ذلك النغل الشرير ، ها هو في قبره يضحك ساخرا منكم!

الشرطي : ابن العاهرة ذاك! ولكنه يبدو كشخص يمكنك أن تثق به... كشخص لطيف! .

الرئيس : اخرس! (يسكت الشرطي ، ويلتوي على نفسه كأنه حلزونة تتراجع إلى قوقعتها) . آمل أنت لم تنزعج يا صاحب الفضيلة ، إن قلت لك أن روايتك عن العملية الانتحارية لعامل السكة الحديد لا تبدو مقنعة جدا .

المفتش : وأنا أيضا لديَّ بعض التحفظات .

الأبله : وأنا من ناحية أخرى لست مقتنعا اطلاقا! لا يمكن تصديق مثل هذه الحكاية حتى في مسلسل بوليسي تلفزيوني! وبالفعل ، فقد كنت أحاول أن «أنقذ» روايتكم ، ولكنها حتى على نحو أسوأ!

الرئيس : (يحني ظهره ويفرك كتفيه) : أعذرني ، هل تسمح لي باغلاق النافذة ؟ لقد أصبح الجو باردا هنا فجأة...

الأبله : بكل تأكيد هيا اذهبْ وأغلقها . الجو بارد فعلا!

المفتش : ذلك لأن الشمس قد غربت للتو . (باشارة من المفتش ، يقوم الشرطي باغلاق النافذة) .

الأبله : حسنا . ولكن الشمس في ذلك المساء لم تغرب .

المفتش : ماذا ؟

الأبله : قلت : في ذلك المساء الذي رمى الفوضوي فيه بنفسه من النافذة ، هل بقيت الشمس في السماء ، ألم يكن هناك غروب ؟

(ينظر رجال الشرطة الثلاثة الواحد منهم إلى الآخر في دهشة) .

الرئيس : لا أفهمك... (يتظاهر الأبله بأنه منزعج) .

الأبله : أنظر : حتى لو كان الشهر هو كانون الأول ، ولو كانت النافذة لاتزال مفتوحة عن آخرها في منتصف الليل ، فهذا يعني أن الجو لم يكن باردا . واذا لم يكن الجو باردا ، فهذا يعود إلى أن الشمس لم تكن قد غربت بعد . لقد غربت لاحقا ، في الواحدة صباحا كما يحدث في النرويج .

الرئيس : لا ، لا . كانوا قد فتحوها للتو... حتى تتم تهوية الغرفة ، صحيح ؟

المفتش : نعم ، كانت خانقة من الدخان .

الشرطي : كان الفوضوي يدخن كثيرا ، أترى ذلك ؟

الأبله : وهل فتحتم المصاريع والنافذة أيضا ؟

المفتش : نعم والمصاريع أيضا .

الأبله : في كانون الأول ؟ في منتصف الليل ودرجة الحرارة أقل من الصفر ، وبوجود ضباب رطب يمكنه أن يجمد الدم في عروقك ؟ «أنا أختنق ، أسرعوا ، أريد هواءً نظيفا! ما يهمنا لو أصيب الجميع بذات الرئة» . هل كنتم ترتدون معاطفكم في الأقل ؟

المفتش : لا ، الجاكتات فقط .

الأبله : أناقة عرضية!

المفتش : ولكني أستطيع أن أجزم لك أن الجو لم يكن باردا مطلقاً .

الرئيس : لا ، لم يكن باردا...

الأبله : حقا ؟ في تلك الليلة ، كما يقول التقرير عن الطقس ، فان درجة الحرارة في كل أنحاء ايطاليا كان من شأنها تجميد دب قطبي ، وتقولون إن الجو لم يكن باردا . نعم ، كان الوقت «ربيعا»! هل لديكم ريح موسمية أفريقية تمر من هنا كل ليلة ، أو هل هو «تيار خليجي» قادم عبر «نفق القديس مرقص» ويمر من هنا تحت الأرض عبر نظام المجاري ؟

المفتش : اعذرني يا صاحب الفضيلة ، ولكني لا أفهم ما يحدث : منذ فترة قلت إنك هنا بقصد مساعدتنا ، ولكنك في الواقع تشك في كل تصريح من تصريحاتنا ، أنت تسخر منا وتذلنا...

الأبله : حسنا ، ربما أبالغ ، وربما استجوبكم زيادة عن اللزوم ولكنكم تشعرون كأنكم تتفرجون على واحدة من تلك الألعاب المخصصة للمغفلين المتخلفين عقليا والتي تظهر في صفحات التسلية يوم الأحد : «حاول أن تجد سبعة وثلاثين خطأ لمفتش دوبي دوم دوم» . وكيف أستطيع مساعدتكم ؟ (يجلس الشرطي محبطا وصامتا) حسنا ، حسنا ، لا تحزنوا . هيا ابتهجوا! أعدكم من هذه اللحظة فصاعدا أني لن أسخر منكم . ستكون الاجراءات جدية تماما . والآن لننس ما أدى إلى حادثة...

الرئيس : نعم ، لننسها .

الأبله : ولنعالج الحادثة نفسها : القفزة .

المفتش : موافق .

الأبله : إن صديقنا الفوضوي ، بعد أن طغى عليه «الرابتوس»... هيا نر معا إن كان هناك سبب آخر أكثر مصداقية لهذا التصرف المجنون . إنه ينهض فجأة ويعدو... مهلا لحظة : من لعب دور « كرسي القدمين » ؟

المفتش : ماذا! « كرسي القدمين » ؟

الأبله : أي بكلمات أخرى ، من منكم وقف قرب النافذة وأصابع يديه متشابكة عند بطنه : هكذا ، وذلك حتى يتمكن الفوضوي من وضع قدمه ثم هوب! يطير عبر الحافة ؟

المفتش : ما الذي تقوله يا صاحب الفضيلة ؟ هل تظن أننا... ؟

الأبله : لا بحق السماء ، لا تنزعج . كنت أسأل فحسب... اذ فكرت أنه طالما كانت القفزة عالية ، مع وجود فراغ قليل جدا للعدو التمهيدي ، دون مساعدة خارجية... لا أريد أن يتمكن أي شخص من أن يطرح مسألة...

المفتش : لا ، ليس هناك أي تساؤل يا صاحب الفضيلة ، وأؤكد ذلك ، لقد فعل كل شيء وحده ، وحده وبنفسه!

الأبله : ألم يكن هناك حتى ذلك النوع من « كرسي القدمين » الذي يستعمل في المباريات ؟

المفتش : لا...

الأبله : ربما كان القافز يرتدي حذاءً ذا كعب مرن!

المفتش : لا ، لم يكن هناك كعب مرن!

الأبله : حسنا ، اذن لنر ما لدينا . من ناحية لدينا رجل طوله مئة وسبعة وسبعون سنتميترا تقريبا ، وحيد ، دون عون

ودون سلم . ومن ناحيــة أخـرى لدينا نصف دزينة من رجال الشرطة يقفون على بعد أمتار قليلة منه... وأحدهم قرب النافذة تماما في الواقع... ومع ذلك لا ينجح في منعه من القفز في الوقت الملائم...

المفتش : ولكن ذلك حدث على نحو فجائي جدا!

الشرطي : وليست لديك أية فكرة عن مدى سرعة ذلك الشيطان . لم أتمكن من الامساك بقدمه إلا بصعوبة .

الأبله : ها هه! ترون أن تقنيتي في الاستفزاز ناجحة : اذن فقد أمسكت به من قدمه! ؟

الشرطي : نعم ، ولكن فردة حذائه بقيت في يدي ، وسقط هو على أية حال .

الأبله : لا يهم . ما يهمنا هو أن فردة الحذاء بقيت . هذه الفردة تثبت دون أدنى شك أنك حاولت انقاذه!

المفتش : طبعا ، دون أدنى شك .

الرئيس : (مخاطبا الشرطي) : برافو!

الشرطي : شكرا يا حضرة الرئيس . أنا...

الرئيس : اخرس!

الأبله : لحظة فقط... هناك شيء غريب هنا (يرى رجال الشرطة صفحة من الورق) هل كان لضحية الانتحار ثلاث فردات أحذية ؟

الرئيس : ما الذي تعنيه بثلاث فردات أحذية ؟

الأبله : هذا ما أعنيه . يبدو أن إحداها بقيت بين يدي الشرطي كما شهد هو بنفسه بعد يومين من الحادثة التعيسة (يريهم الورقة) . ذلك مكتوب هنا .

المفتش : أجل ، هذا صحيح ، لقد قال ذلك لأحد الصحفيين من صحيفة «كوريير ديلاسيرا»[1] .

الأبله : ولكن هنا ، في هذا التقرير الآخر المرفق هنا ، فان كل شخص يصر على أن الفوضوي حين كان يتمدد محتضرا هناك على رصيف الساحة ، كان لايزال يرتدي كلتا فردتي حذائه . وكل الشهود الذين تجمعوا من حوله أفادوا بالشيء نفسه ، ومن بينهم صحفي من جريدة «لونيتا» وصحفيون آخرون حدث أن وجدوا في مكان الحادثة![2]

المفتش : لا أرى كيف يمكن لمثل هذا أن يحدث .

الأبله : ولا أنا أيضا! ما لم يستطع هذا الشرطي السريع أن ينزل الدرج بسرعة هائلة ، ويصل في الوقت المحدد إلى منبسط الدرج في الطابق الثاني ويمد يده من النافذة قبل أن يمر المنتحر في طريقه نحو الأسفل ، ويلبسه فردة حذائه في قدمه وهو طائر ، ثم يعود كالبرق إلى الطابق الرابع في اللحظة التي ارتطم بها الرجل الساقط بالأرض .

الرئيس : أترى ؟ ها أنت تعود إلى السخرية من جديد!

الأبله : أنت على حق ، لا أستطيع مغالبة ذلك... سامحني . والآن لدينا اذن ثلاث فردات من الأحذية... اعذرني ، هل تتذكر يا ترى إن كان ذلك الشخص بأقدام ثلاث مثلا ؟

الرئيس : ماذا ؟

---

(١) صحيفة وطنية رئيسة تصدر في ميلانو

(٢) «لونيتا» هي الصحيفة اليومية للحزب الشيوعي الايطالي .

الأبله : أعني إن كان لعامل السكة الحديد ، ضحية الانتحار ، ثلاث أقدام . في مثل هذه الحالة سيكون من المنطقي أن يرتدي ثلاث فردات .

الرئيس : (منزعجا) : لا ، لم يكن ذا ثلاث أقدام .

الأبله : أرجوك لا تغضب . خاصة وأنك لا تستطيع أن تتوقع حتى ما هو أسوأ من ذلك ، وخاصة من شخص فوضوي!

الشرطي : هذه حقيقة!

الرئيس : اخرس!

المفتش : ما هذه اللخبطة وهذا الصراخ! فلنجد تفسيرا معقولا وإلا...

الأبله : وجدته!

الرئيس : وما هو ذاك ؟

الأبله : اليك هو : الواضح أن إحدى فردتي حذائه كانت كبيرة عليه . ولذلك وبسبب عدم وجود « ضبان » لديه ، فقد لبس فردة حذاء ضيقة قبل أن يرتدي فوقها تلك الفردة الكبيرة .

المفتش : فردتان في قدم واحدة ؟

الأبله : طبعا ، ما الغريب في ذلك ؟ مثل «الكلاش» ، أتتذكر ذلك الحذاء المطاطي الذي من عادتهم أن يرتدوه...

الرئيس : بالضبط ، من عادتهم .

الأبله : حسنا ، مازال بعض الناس يرتدونه . في الواقع أنت تعرف ما أفكر به ، أليس كذلك ؟ كان ما بقي في يد الشرطي ليس حذاء بل « كلاشا » .

المفتش : أوه ، لا هذا مستحيل . فوضوي بـ « كلاش »! هذا النوع يرتديه الناس المحافظون «الدقة القديمة»...

الأبله : الفوضويون محافظون جدا .

الرئيس : نعم ، ولذلك فهم يقتلون الملوك!

الأبله : طبعا ، حتى يمكن تحنيطهم والاحتفاظ بهم كما هم بالضبط . اذا انتظرت حتى يموت الملوك من الشيخوخة ، فانهم ينكمشون ويستهلكهم المرض ، ثم يتهاوون ويتفسخون ولا يمكن حفظهم بعد ذلك . لذلك فان الملوك المقتولين...

المفتش : أرجوك يا صاحب الفضيلة ، هناك مواضيع معينة لا يمكنني بالفعل...

الرئيس : ولا أنا أستطيع احتمالها أيضا .

الأبله : حسنا ، ما رأيكم في هذا ؟ كنت أظن أنكم تحملون حنينا إلى الماضي ولكن ليس إلى الملكية! وعلى أية حال اذا لم تكونوا مقتنعين بحكاية «الكلاش» ولا حكاية الفردات الثلاث... (يرن جرس الهاتف . يتوقف الجميع عن الحركة . يمسك المفتش بالسماعة) .

المفتش : اعذروني . (يتكلم في الهاتف) نعم ، ما الحكاية ؟ دقيقة واحدة (يخاطب الرئيس) إنه الحارس . يقول إن هناك امرأة صحفية عند الباب تريد مقابلتك يا حضرة الرئيس .

الرئيس : أوه ، هذا صحيح لقد ضربت موعدا لها اليوم... إنها من صحيفة «ليسبريسو» أو «لوروبيو» لم أعد أتذكر أيها[1] . اسأل إن كان اسمها هو «فيليتي» .

---

(١) «ليسبربسو» و«لوروبيو» هما صحيفتان أسبوعيتان رئيستان في ايطاليا .

المفتش : (في الهاتف) : هل اسمها فيليتي ؟ (يخاطب الرئيس) نعم ، ماريا فيليتي .

الرئيس : اذن هي تلك الصحفية . كانت تريد اجراء حوار معي . أرجو أن تطلب منها الحضور في وقت آخر : لا أستطيع مقابلتها اليوم .

الأبله : لا! لن احلم حتى بجعلك تغير خططك بسببي!

الرئيس : ما الذي تعنيه ؟

الأبله : أعرف تلك الصحفية ، إنها امرأة ذات أهمية ، ويمكن أن تفهم تصرفاتك على نحو خاطئ . إنها حساسة جدا! واذا ما غضبت فلن تتردد في كتابة واحدة من تلك المقالات عنك... دعها تدخل بحق السماء!

الرئيس : ولكن ماذا عن التحقيق الذي تجريه أنت ؟

الأبله : يمكنه أن ينتظر . ألم تفهموا بعد أني في الزورق نفسه معكم أيها الرجال ؟ عليكم أن تكسبوا أمثالها إلى جانبكم وليس ضدكم! خذوها نصيحة مني .

الرئيس : حسنا . (يلتفت إلى المفتش الذي مازال يمسك بالسماعة) اطلب منها أن تصعد إلى هنا .

المفتش : (في الهاتف) : دعها تصعد إلى مكتبي . (يعيد السماعة إلى مكانها) .

الرئيس : وما الذي ستفعله ، هل ستغادرنا ؟

الأبله : لن أحلم حتى بذلك! أنا لا أتخلى عن أصدقائي أبدا ، خاصة في المحن!

المفتش والرئيس : هل ستبقى ؟

الرئيس : وكيف ستقدم نفسك ؟ هل تريد من تلك المرأة

الصحفية ، تلك الغولة ، أن تكتشف من أنت وما الذي تفعله هنا ؟ حتى تنشر ذلك في صحيفتها ؟ في مثل هذه الحالة يمكنك أن تقول إنك تريد أن ترانا وقد قضي علينا!

الأبله : لا ، لا أريد أن أراكم وقد قضي عليكم . لا تقلقوا : الغولة لن تكتشف أبدا حقيقتي .

المفتش : لا ، ولكن كيف ؟...

الأبله : لا ، اطلاقا . سأغير من شخصيتي . هذا بالنسبة لي أشبه بلعب الأطفال صدقوني... سأكون طبيبا نفسانيا ، مفتشا من القسم الجنائي ، رئيس «الانتربول» ، رئيس القسم العلمي : اختاروا ما تشاؤون . واذا ما حاولت الغولة احراجكم ببعض الأسئلة الخادعة ، فكل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تغمزوا لي وسوف أتدخل . الأمر المهم هو ألا تعرضوا أنفسكم للشبهات... عليكم...

الرئيس : هذا كرم عظيم منك يا صاحب الفضيلة . (يفرك يديه بانفعال) .

الأبله : لا تستمر في مناداتي على أني قاض ، بحق السماء! منذ اللحظة أنا «مارك انطونيو بانتسي بيتشيني» من القسم العلمي ، حسنا ؟

المفتش : ولكن هناك بالفعل نقيب اسمه «بانتسي بيتشيني» في روما .

الأبله : بالضبط . بهذه الطريقة اذا كتبت الصحيفة شيئا لا يعجبنا سيكون من السهل أن نبرهن على أنها قد اخترعت المسألة كلها عن طريق استدعاء النقيب

بيتشيني الحقيقي من روما كشاهد .

المفتش : واو ، أنت عبقري! هل تعتقد فعلا أنك تستطيع لعب دور النقيب ؟

الأبله : لا تقلق ، خلال الحرب الأخيرة كنت قسيسا في وحدة «رماة الهدف»[١] .

الرئيس : هدوءا ، لقد وصلت .

(تدخل الصحفية)

الرئيس : ادخلي يا سيدتي .

الصحفية : مساء الخير . أود مقابلة الرئيس من فضلكم .

الرئيس : أنا هو يا سيدتي . تشرفنا بمعرفتك . ونحن نعرف بعضنا على الهاتف فقط لسوء الحظ .

الصحفية : كيف حالك ؟ لقد أزعجني قليلا الحارس الذي على الباب .

الرئيس : أنت على حق ، أرجو أن تعذرينا على سوء الفهم هذا . كانت تلك غلطتي اذ نسيت أن ابلغه بقدومك . سأقدمك إلى مساعدي : «المفتش بيزاني المسؤول عن هذا المكتب»...

الصحفية : تشرفت بمعرفتك .

المفتش : أنا الذي تشرفت يا سيدتي (يصافحها بطريقة عسكرية حيوية) .

الصحفية : يا الهي ، يا لها من قبضة!

المفتش : آسف .

---

(١) وهم وحدة خاصة من الجيش الايطالي تتميز بتدريب ذي مستوى عال

الرئيس : (يشير إلى الأبله الذي يعبث بشيء ما وظهره اليهم) : وأخيرا النقيب... النقيب ؟!

الأله : ها أنذا . (يظهر بشارب مستعار ورقعة سوداء على احدى عينيه ويرتدي قفازا بنياً في احدى يديه) : النقيب مارك انطنيو بانتسي بيتشيني ، من القسم العلمي . أرجو أن تعذريني على يدي الصلبة فهي من الخشب ، ذكرى من الحملة الجزائرية ، فقد كنت مظليا سابقا مع «الفرقة الأجنبية» . تفضلي بالجلوس يا سيدتي .

الرئيس : أتحبين أن تشربي شيئا ؟

الصحفية : لا ، شكرا . اذا لم يكن لديكم اعتراض فأنا أود أن أبدأ على الفور ، إذ أنني في عجلة من أمري لسوء الحظ ، أنا مضطرة لتسليم المقالة هذه الليلة ، وهي ستذهب إلى المطبعة هذه الليلة .

الرئيس : حسنا ، كما تريدين . فلنبدأ فورا : نحن جاهزون .

الصحفية : أود أن أطرح عددا من الأسئلة . (تخرج دفتر ملاحظات وتقرأ) السؤال الأول موجه مباشرة اليك يا حضرة المفتش ، واعذرني إن كان استفزازيا بعض الشيء... واذا وافقت ، سأستعمل المسجلة... الا اذا كنت تعارض ذلك . (تخرج مسجلة من حقيبتها)

المفتش : حسنا ، لو اردت الحقيقة ، فنحن...

الأبله : يا للسماء ، لا ، هيا تابعي . (مخاطبا المفتش) القاعدة الأولى : لا تعارض .

المفتش : ولكن لو تركنا شيئا ما يخرج... ثم أردنا أن ننكره لاحقا فان لديها الدليل...

الصحفية : اعذرني ، هل هناك ما هو على غير ما يرام ؟

الأبله : (بتوقيت كامل) : لا ، لا ، على العكس . كان المفتش يمدحك للتو قائلا إنك امرأة شديدة الجرأة ذات مبادئ ديموقراطية حق... محبة للحقيقة والعدالة مهما كان الثمن .

الصحفية : هذا لطف شديد منه .

المفتش : ما الذي تريدين أن تسأليه ؟

الصحفية : لماذا يسمونك « مدرب ركوب النوافذ » ؟

المفتش : « مدرب ركوب النوافذ » ؟ أنا ؟

الصحفية : نعم ، أو « مدرب ركوب المفتش » .

المفتش : ومن يدعوني هكذا بافتراضك ؟

الصحفية : لديَّ هنا صورة لرسالة من فوضوي شاب أرسلها من « سجن سان فيتوري » حيث كان مقبوضا عليه في الوقت نفسه الذي مات فيه فوضوينا . والرسالة تتحدث عنك أيها المفتش... وعن هذه الغرفة .

المفتش : أوه حقا ؟ وما الذي تقوله هذه الرسالة ؟

الصحفية : (تقرأ) : « المفتش من المكتب الذي في الطابق الرابع ارغمني على الجلوس على حافة النافذة ساقاي مدلاتان ، ثم بدأ ينخزني ويهينني... ويقول : اقفز ، لماذا لا تقفز... اليست لديك الجرأة ؟ هيا ضع حدا للمسألة! ما الذي تنتظره ؟ واقسم أني اضطررت إلى أن أطبق اسناني حتى لا استسلم واقفز » .

الأبله : (بدور النقيب) : رائع! يبدو هذا كمشهد من فيلم لهيتشكوك .

الصحفية : اذا لم يكن لديك مانع أيها النقيب ، فان سؤالي كان موجها إلى رئيس هذا المكتب وليس اليك . (تضع الميكروفون أمام فم المفتش) ما هو ردك على ذلك ؟

النقيب : (في اذن المفتش) : كن هادئا ولا مباليا .

المفتش : ليس لديَّ رد على ذلك اطلاقا . بل أجيبيني أنت بدلا من ذلك وبكل صراحة : هل تعتقدين أني أجبرت عامل السكة الحديد على أن يركب النافذة أيضا ؟

النقيب : صه ، اياك أن تضبط ملتبسا . (يتظاهر بأنه يغني لنفسه) الغولة تطير بعيدا ، محلقة في السماء ، بعيدا عن بيتي...

الصحفية : هل أنا على خطأ أيها النقيب ، أم أنك تحاول مقاطعة هذا الحوار ؟

النقيب : لا اطلاقا ، بل كنت أعلق فحسب . واذا سمحت لي يا آنسة فيليتي ، فأنا أود أن أسألك إن كنت تعتقدين أننا نكتب اعلانات تجارية لشركة «ويندكس» للنوافذ ، حيث أنك تبدين مصممة تماما على جعلنا نقوم باختبار على النافذة لكل فوضوي نضع يدنا عليه ؟

الصحفية : لا حاجة إلى القول بأنك شديد الذكاء أيها النقيب .

المفتش : (للنقيب) : شكرا ، لقد أخرجتني من ورطة حقيقية (يضربه على كتفه) .

النقيب : لا تستعمل يدك بشدة أيها المفتش ، فعيني من زجاج! (يشير إلى الرقعة السوداء) .

المفتش : عين زجاجية ؟

الأبله : وانتبه حين تصافحني فيدي اصطناعية .

الصحفية : اذا عدنا إلى موضوع النوافذ فان التقرير حول القطع المكافئ للسقطة ، يبدو وكأنه غير موجود ضمن ملف القاضي... ذاك الذي يحوي قراره بحفظ القضية واعتبارها منتهية .

الرئيس : القطع المكافئ للسقطة ؟

الصحفية : أجل القطع المكافئ لسقوط المنتحر المزعوم على الأرض .

الرئيس : وما الهدف من هذا التقرير ؟

الصحفية : الهدف منه هو معرفة إن كان الفوضوي لا يزال حيا تماما في اللحظة التي طار فيها من النافذة . أي إن كان قد قفز أقل قفزة ممكنة قبل أن يهبط ، أو إن كان قد سقط كجسم جامد غير حي كما يقول التقرير فعلا ، بحيث انه كشط الحائط لو وجد أي كسر أو جرح على ذراعيه أو يديه والتقرير لم يقل ذلك فان المنتحر المزعوم لم يرم بيديه نحو الأمام ليحمي نفسه في لحظة السقوط وهي حركة غريزية طبيعية تماما .

المفتش : نعم ، ولكن لا تنسي أننا نتعامل مع شخص منتحر هنا... مع شخص رمى بنفسه لأنه أراد أن يموت!

الأبله : آه ، ولكن هذا لا يعني... لسوء الحظ أنا مضطر لتأييد الآنسة فيليتي في هذه الناحية . كما ترى . فأنا موضوعي تماما . لقد أجريت كل أنواع التجارب على هذا الموضوع ولقد أخذوا منتحرين رموا بهم من النوافذ ، وفي كل حالة كانوا يلاحظون أنه غريزيا ، وفي اللحظة الصحيحة ، كان هؤلاء جميعا يرمون بأيديهم

نحو الأمام : هكذا!

الرئيس : أنت تقدم عونا كبيرا! هل أنت مجنون ؟

الأبله : نعم ، كيف اكتشفت ذلك ؟

الصحفية : ولكن التفصيل الأشد ارباكا الذي أريد تفسيرا له يتعلق بشريط تسجيل مفقود من الملف نفسه الخاص بقرار القاضي حفظ القضية . لقد كان في الشريط تسجيل دقيق للزمن الذي جرت فيه المخابرة الهاتفية التي تم طلب سيارة الاسعاف بوساطتها . لقد طلبت المخابرة عبر مقسم الهاتف في رئاسة الشرطة ، ويقول موظف الصليب الأحمر وعاملة المقسم أن المخابرة في الثانية عشرة إلا دقيقتين . ولكن كل صحفي هرع الى الساحة يقسم أن القفزة حدثت بعد الثانية عشرة بثلاث دقائق بالضبط . أي وباختصار ، لقد تم طلب النقالة قبل خمس دقائق من طيران الفوضوي عبر النافذة . هل يمكن لأي منك أن يفسر لي هذه الواقعة الغريبة ؟

الأبله : أوه ، غالبا ما نطلب النقالات كاجراء احتياطي ، لأن المرء لا يمكن أن يعرف أبدا ما قد يحدث... وأحياناً نطلب ذلك في الوقت المناسب فعلا كما حدث في هذه المرة .

المفتش : (يضرب بعنف على كتفه) : عظيم!

الأبله : حذار ، عيني... قد تقفز من مكانها!

الرئيس : على أية حال ، لا أفهم ما تحاولين أن تتهمينا به . هل هو نوع من الجريمة التي سبق التحضير لها بتلاث دقائق قبل الوقت المحدد... هيا ، أنت تعرفين أنه لأمر مهم أن

تسبق الشرطة الزمن!

المفتش : وإلى جانب ذلك ، فأنا على ثقة من أن الخطأ كامن في الساعات ، لا شك أن ساعات الصحفيين كانت مقصرة... متقدمة...

الرئيس : أو ربما كان مع عاملة المقسم التي سجلت مخابرتنا ساعة مقصرة...

الشرطي : بالتأكيد ، محتمل جدا .

الصحفية : مرض ساعات عجيب!

الأبله : ما الغريب جدا في الأمر ؟ نحن لسنا في سويسرا . كل منا يضبط ساعته كما يشاء . البعض يفضل أن يكون مبكرا والبعض متأخراً... هذه أمة من الفنانين ، من الفردانيين على نحو يصعب تصديقه ، من المتمردين على العادة...

المفتش : عظيم ، رائع! (يضربه بعنف على كتفه ، نسمع صوت ، بلية زجاجية تسقط على الأرض) .

الأبله : أرأيت ؟! ما الذي قلته لك... لقد أوقعت لي عيني الزجاجية .

المفتش : (ينزل على يديه وركبتيه بحثاً عنها) : أنا آسف... سنجدها لك فوراً .

الأبله : من حسن الحظ أني وضعت هذه الرقعة التي كانت تمسك بها ، والا فمن يدري أين كانت ستطير . اعذريني يا سيدتي ، عن أي موضوع كنا نتحدث ؟

الصحفية : حول حقيقة أننا أمة من الفنانين يحبون التمرد على العادة . وأنا اتفق معك في ذلك... القضاة الذين يأمرون

بحفظ التحقيق هم أكثر تمرداً : إنهم ينسون أن يجمعوا تقارير شهود العيان والأشرطة المسجل عليها التواريخ والمعلومات حول السقطة . إنهم لا يكترثون بأن يسألوا كيف حدث أن طلبت نقالة اسعاف سلفا... كل هذه التفاصيل الصغيرة! ومن بينها الرضوض عند قاعدة عنق الرجل الميت : وأسبابها غير واضحة اطلاقا .

الرئيس : كوني حذرة يا سيدتي . أنصحك ألا تطلقي الكلام جزافا فهو أمر خطير .

الصحفية : هل هذا تهديد ؟

الأبله : لا ، لا ، أيها الرئيس . لا أعتقد أن الآنسة فيليتي تطلق الكلام جزافا . إنها تشير دون شك إلى رواية للوقائع سمعت بها في أكثر من مناسبة... ومن الغريب أن يكون منشؤها في قاعات هذا المبنى بالذات .

الرئيس : ما هذا الذي تتحدث عنه ؟

الأبله : الناس يتهامسون بأنه خلال التحقيق الأخير مع الفوضوي نفد صبر أحد الموجودين ، وقبل منتصف الليل بدقائق ، وجه إلى عنق الفوضوي المذكور أعلاه ضربة هائلة . اهدأ أيها الرئيس... يقال أنه أصيب بشلل جزئي . وعلاوة على ذلك كان يصدر فحيحا من حنجرته لأنه لم يكن قادرا على التنفس . ثم استدعيت سيارة الاسعاف ، وفي هذه الأثناء ، وبينما كانوا يحاولون إنعاشه ، فتحت النافذة ، حملوا الفوضوي إلى حافة النافذة وتركوه معلقا هناك لفترة قصيرة ، حتى يجعله هواء الليل البارد ينتعش قليلا . ويقال إن شخصين كانا

يمسكان به... وكما يحدث غالبا في مثل هذه الحالات ، فقد كان كل منهم يعتمد على الآخر... هل أمسكه أنا ؟ هل تريد أن تمسكه أنت ؟... وخلال هذه اللخبطة ، سقط الرجل! (المفتش الغاضب جدا يسير نحو الأمام ، تنزلق رجله على البلية (العين) الزجاجية ويسقط على الأرض مُصدرا صوتا هائلا) .

الصحفية : هكذا تماما!

الرئيس : (مخاطبا الأبله) : كرمى للمسيح ، هل جننت ؟

الأبله : هذا صحيح أيها الرئيس . جننت ست عشرة مرة .

المفتش : اللعنة! ما الذي انزلقت عليه ؟

الأبله : على عيني الزجاجية! انظر ، لقد جعلتها وسخة! أيها الشرطي هل لك أن تحضر لي كأس ماء لأغسلها ؟ (يخرج الشرطي) .

الصحفية : عليكم أن تقروا بأن هذه الرواية توضح الكثير من الأمور الغامضة : سبب استدعاء النقالة سلفا ، لماذا كانت السقطة أشبه بسقطة جسد لا حياة فيه... وحتى السبب في أن المدعي العام للمنطقة استعمل مصطلحا غريبا حين كان يقدم ملاحظاته النهائية .

الأبله : أي مصطلح ؟ أرجوك حاولي أن تكوني أكثر وضوحا . يكفيني الصداع الذي أعانيه من جراء مشكلاتي الخاصة .

الصحفية : لقد صرح المدعي العام للمنطقة خطيا أن موت الفوضوي يجب أن يعتبر « حادثا عرضيا » (صدفة) . اذن هو « حادثة » وليس « انتحارا » . وهناك فرق كبير بين المصطلحين . ومن ناحية أخرى فان الطريقة التي وصف

بها النقيب ما حدث تمكننا من تسمية ما حدث على أنه «صدفة» .

(في هذه الأثناء يعود الشرطي بكأس الماء ويسلمها إلى الأبله . يبتلع الأبله العين الزجاجية «البلية» كأنها حبة دواء مع كأس الماء بسبب انهماكه في حديث المرأة) .

الأبله : يا الهي! العين يا الهي ، لقد ابتلعت عيني... أوه ، حسنا ، ربما تداوي لي وجع رأسي في الأقل .

الرئيس : (في أذن النقيب المزيف) : أي نوع من الألعاب تمارس الآن ؟

المفتش : (يهمس للأبله الآن بدوره) : ألا تعتقد أنك منحت هذه الغولة أكثر مما تستحق ؟ إنها واثقة الآن من قدرتها على أن تقودنا الى المشنقة!

الأبله : أرجوكم دعوني أعالج المسألة . (يخاطب الصحفية) ومع ذلك استطيع أن ابرهن لك يا سيدتي على أن هذه الرواية الأخيرة غير جديرة بالثقة اطلاقا .

الصحفية : غير جديرة بالثقة ، طبعا ، كما اعتبرت شهادات المتقاعدين غير جديرة بالثقة من قبل القاضي الذي أمر بحفظ القضية!

الأبله : وما هذه الحكاية عن المتقاعدين غير الجديرين بالثقة ؟

الصحفية : من الغريب أنك لم تسمع بها! في قرار حفظ القضية صرح القاضي بأن شهادات الزبائن الثلاثة التي أوردها صاحبنا الفوضوي كانت غير جديرة بالثقة . لقد أكد أولئك الرجال أنهم قضوا عصر ذلك اليوم المأسوي الذي

حدثت فيه عملية التفجير وهم يلعبون الورق معه في بار قريب من القنال .

الأبله : وكانت الشهادات غير جديرة بالثقة ؟ لماذا ؟

الصحفية : لأن القاضي قال : « هؤلاء الرجال العجائز في حالة صحية بائسة وهم مقعدون أيضا » .

الأبله : وهل كتب ذلك في نص قراره أيضا ؟

الصحفية : نعم .

الأبله : حسنا ، لا أرى لماذا لا تتفقين معه . لا يمكن أن يتوقع المرء موضوعيا من شخص متقاعد في سن معينة وشخص مقعد بسبب الحرب أو العمل ، اختاري ما تشائين ، علاوة على ذلك هو عامل سابق... « عامل سابق » انتبهي إلى ذلك...... لا يمكن أن يتوقع منه أن يمتلك الحد الأدنى من المؤهلات النفسية والجسمية المطلوبة لأداء تلك المهمة الدقيقة : الإدلاء بشهادة .

الصحفية : ولماذا يعتبر العامل السابق غير مؤهل ؟ أرجو أن تشرح لي ذلك .

الأبله : يا للسماء يا سيدتي ، وأين تعيشين أنت ؟ بدلا من أن تذهبي لتكتبي تقارير عن المكسيك وكمبوديا وفيتنام عليك أن تقضي بعض الوقت في « مارغيرا » و« بيومبينو » و« سيستوسان جيوفاني » أو « رو »![1] هل لديك أية فكرة عمن هو العامل ؟ ما أن يصل هؤلاء إلى سن التقاعد... ووفق آخر الاحصائيات فان عدد من يصل

(١) هذه كلها مناطق صناعية في شمالي ايطاليا يسكنها عمال المصانع بشكل رئيس

منهم إلى تلك السن في تناقص مستمر... ولكن ما أن يصلوا إلى تلك السن فإنهم يكونون معصورين كالليمونة ، أمواتا أعيدوا إلى الحياة دون ردود أفعال اطلاقا!

الصحفية : يبدو أنك ترسم صورة شديدة التشاؤم .

الأبله : وهل تعتقدين ذلك ؟ اذن القي نظرة على احدى الحانات حيث يذهب المتقاعدون للعب الورق وسوف تسمعينهم : إنهم يهينون الواحد الآخر ، يضربون بعضهم بعضا بكل ما فيهم من قوة ، ويصرخون إلى حد أنهم لا يستطيعون أن يتذكروا ما في أيديهم من أوراق : «أنت أيها النغل قد سبق لك ولعبت السبعة سباتي . أنت لم تفعل . لقد لعبت تلك الورقة سابقا ، ليس الآن! ما الذي تعنيه ، الورقة التي لعبتها سابقا ؟ هذا أول دور نلعبه اليوم... أنت أحمق بالفعل . لا ، بل أنت هو الأحمق . كان عليك أن تحتفظ بالسبعة كعلامة... وبدلا من ذلك ذهبت ولعبتها على الطاولة المجاورة! أية علامة تعني ؟ هذه المرة كانت العلامة هي «الختيار»! أنت مجنون! أنت تقول إني مجنون ؟ ومن تظن أنك تخاطب ؟ لا أعرف ، هل تعرف أنت ؟ أنا أيضا لا أعرف» .

الصحفية : ها ها ، هذا كثير جدا! حسنا ، بعيدا عن هذه الكوميديا الغروتسك ، هل علينا أن نضع اللوم عليهم إن كانت الأمور قد وصلت بهم إلى هذه الحال .

الأبله : لا ، بل على المجتمع الذي هو على خطأ حتما . ولكننا

لسنا هنا لنحاكم الرأسمالية والرؤساء ، نحن هنا لنتحدث عن أي من الشهود هم أكثر جدارة بالثقة وأيهم أقل جدارة بها! اذا كان شخص في حالة يائسة لأنه استغل لفترة طويلة أو أصيب بحادثة في المعمل ، فنحن ، كممثلين للنظام والقانون ، يجب ألا نتورط .

الرئيس : برافو أيها النقيب!

الأبله : ليست لديك الوسائل لتزويد نفسك بما يكفي من الفيتامينات والبروتينات والسكريات والدهون والمعادن لتجعل ذاكرتك تعمل ؟ اذن فأنت لا نفع منك . وكقاض ، فأنا لا أقبل شهادتك... أنت خارج اللعبة ، مواطن من الدرجة الثانية .

الصحفية : ها ها! لقد عرفت أننا سنعود إن عاجلا أو آجلا إلى مسألة الطبقات ، والميزات الطبقية .

الأبله : ومن ينكر ذلك ؟ طبعا سأقر بذلك ، هذا صحيح : مجتمعنا مقسم إلى طبقات... الشهود أيضا : هناك شهود من الصنف الأول والثاني والثالث والرابع . وهي ليست مسألة سن اطلاقا . يمكن للمرء أن يكون أكبر سنا من نوح وأكثر خرفا من يشوع(*) ، ولكنه لو كان خارجا للتو من « ساونا » سويدية فيها دوش ساخن وبارد وتدليك ومصابيح شمسية ، ويرتدي وشاحا وقميصا حريريا ويقود سيارة مرسيدس « كوبيه » بأربعة أبواب وسائق ، فسوف أدهش تماما لو أن القاضي لم يعتبره

* (يشوع بن نون) زعيم يهودي ورد ذكره في التوراة . (المترجم)

شاهدا جديرا بالثقة . في رأيي ، إنه لو قبّل يده أيضا ، فسوف يعتبر جديرا بالثقة . في رأيي ، إنه ممكن! (يقلد صوت تقبيل الأيدي) . في الواقع فإنه في المحاكمة التي أعقبت حادثة «سد فاجونت»[1] (هذا اسم اخترعته للتو من مخيلتي) ، فان المهندسين المتهمين... أعني أولئك القلة الذين قبض عليهم ، حيث كان الآخرون قد جرى تحذيرهم سلفا وهربوا من البلد... أولئك المهندسون الخمسة أو الستة الذين كانوا مسؤولين عن موت ألفي شخص تقريبا غرقا في ليلة واحدة وذلك ليكسبوا مئتي ألف زيادة ، هؤلاء الأشخاص ، حتى لو كانوا أكبر سنا من متقاعدينا في الحانات ، لم يعتبروا غير جديرين بالثقة حين شهدوا أمام القاضي . بل العكس هو الصحيح ، لقد اعتبروا جديرين بالثقة إلى أكبر حد ممكن! أعني من يضحك على من بحق السماء ؟ لماذا على المرء أن يهتم بالحصول على درجة جامعية ؟ وبعد ذلك ، لماذا يتحول إلى حامل أسهم ذي مزايا ؟ حتى يتلقى المعاملة نفسها التي يعامل بها متقاعد تافه ؟! ويقال إنه لم يعد هناك في

(١) في التاسع من تشرين الأول (أكتوبر) من عام (١٩٦٣) انهار سد فايونت (فاجونت) . قرب «مبيلونو» وارتفاعه (٨٥٨) قدما بعد أن أصاب ايطاليا انزلاق أرضي هائل . وقد انجرف ما وزنه من (٢٦٠) إلى (٥٢٠) مليون يارد مكعب من التراب والصخور من قشرة جبل قريب بسبب الأمطار الهائلة التي هطلت ، واندفعت هذه نحو خزان السد مجتاحة بلدة بكاملها وقرى عدة . وقد قتل (٢٠٠٠) شخص تمريبا في هذه الكارثة . ورغم أن السد نفسه تحمل الانزلاق الأرضي ، الا أن الشركة الهندسية التي أنشأته لم تكن قد اتخذت أية احتياطات لحماية سكان المناطق المجاورة من هذه المأساة التي يمكن التنبؤ بها . وقد سارع عدد من مديري شركة الانتشاء إلى مغادرة البلد ، أما من بعوا في ايطاليا فقد حوكموا ثم بُرّئت ساحتهم .

ايطاليا من يثق بـ «الليرالايطالي» الآن! لقد سمعت أنه قبل أن يقدم حاملو الأسهم المذكورون أعلاه بياناتهم ، فان القاضي لم يجعلهم يقسمون القسم المعتاد حتى : «هل تقسم على قول الحقيقة ، كل الحقيقة ، الخ» . ويبدو أن كل ما قاله كان : «تفضلوا بالجلوس يا سيد رئيس مجلس ادارة شركة البناء الهيدروليكية ، وأنت يا كبير المخططين ومستشار الحكومة ، كلاكما من حملة الأسهم في الشركة المذكورة التي رأسمالها (١٦٠) مليار لير ايطالي ، والرأسمال الأولي مدفوع بأكمله . تفضلوا بالجلوس بكل راحة : سنسمع منكم ونصدقكم» . ثم جعلهم القاضي يقفون وأيديهم اليمنى موضوعة على الكتاب المقدس ، وقالوا جميعا بصوت واحد : «نقسم أنك ستقول الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شيء سوى الحقيقة!» .

(يخرج النقيب ـ الأبله من وراء المكتب ، ونكتشف أن له ساقاً خشبية كقرصان . الكل يحدق اليه مذهولاً . يعلق هو بهدوء) :

الأبله : فيتنام ، البيريات الخضراء . ذكرى قذرة! ولكن لا فائدة من التحدث عن ذلك . إنه لأمر طبيعي .

(يفتح الباب ويطل المفتش برتوتسو برأسه . فوق إحدى عينيه ضمادة) .

برتوتسو : اعذروني ، هل أقاطع أمرا مهماً ؟

الرئيس : أدخل ، أدخل ، أيها المفتش برتوتسو . تفضل بالجلوس .

برتوتسو : كان عليَّ أن أسلم هذه فحسب . (يرينا علبة معدنية صغيرة) .

الرئيس : ما هذه ؟

برتوتسو : نسخة طبق الأصل عن القنبلة التي انفجرت في المصرف .

الصحفية : أوه يا الهي!

برتوتسو : لا تخافي يا سيدتي ، الفتيل منزوع .

الرئيس : حسنا اذن ، ضعها هناك... والآن ، كن لطيفا وصافح زميلك . أنت أيضا أيها المفتش... تعال إلى هنا وأصلح الأمور .

برتوتسو : أصلح ماذا أيها الرئيس ؟ أود أن أعرف في الأقل ما الذي جعله يدير القبضة ويضربني هكذا مسببا لي هذه الكدمة حول عيني .

(يلكزه الرئيس في أضلاعه) .

المفتش : أوه ، أنت لا تعرف ؟ وماذا عن الشخير ؟

برتوتسو : أي شخير ؟

الرئيس : هيا ، يكفي! لدينا غرباء هنا .

الأبله : صحيح تماما .

برتوتسو : ولكن أيها الرئيس ، أنا أحاول أن أفهم فحسب ما حدث له . إنه يدخل دون أن يلقي التحية حتى ، وثم... نام!

الأبله : حسنا ، كان يمكنه في الأقل أن يقول له مرحبا . إنه على حق في هذا .

برتوتسو : أترى ؟ ولكن اعذرني ، يبدو لي وجهك مألوفا جدا .

الأبله : ربما لأننا كلينا نضع رقعة على العين .

(الجميع يضحك) .

برتوتسو : لا ، حقا ، أنا لا أمزح...

الأبله : أرجو أن تسمح لي بتقديم نفسي : أنا النقيب مارك أنطونيو باتسي بيتشيني من القسم العلمي .

برتوتسو : بيتشيني ؟ ولكن لا يمكنك أن... هذا غير ممكن... أنا أعرف النقيب بيتشيني...

الرئيس : (يرفسه برشاقة) : لا ، أنت لا تعرفه .

برتوتسو : لا أعرفه ؟ لا شك أنك تمزح!

المفتش : لا ، أنت لا تعرفه (يرفسه) .

برتوتسو : اسمع ، لا تبدأ من جديد...

الرئيس : انس الأمر كله (يرفسه) .

برتوتسو : ولكننا درسنا في معهد الشرطة معا! (يتلقى رفسة أخرى ، وهذه المرة من النقيب) .

الأبله : نقول لك انس الأمر كله! (يصفعه أيضا) .

برتوتسو : هاي ، ما الذي تظن أنك...

الأبله : (يشير إلى المفتش) : هو من ضربك . (الرئيس يدفعه جانبا نحو الصحفية) .

الرئيس : اذا سمحت لي أيها المفتش ، فأنا أود أن أقدمك إلى الآنسة... سأشرح لك لاحقا... الآنسة فيليتي ، الصحفية . هل فهمت الآن ما يحدث ؟
(يلكزه بمرفقه) .

برتوتسو : تشرفنا . أنا المفتش برتوتسو... لا ، لم أفهم ما (رفسة من الرئيس وأخرى من النقيب الذي بدأ يستمتع بالأمر كثيرا إلى حد أنه يرفس الرئيس أيضا . وفي الوقت

نفسه يصفع مؤخرة عنق كل من برتوتسو والمفتش في آن واحد) .

برتوتسو : (مقتنعا أن المفتش ذا الملابس العادية هو الذي صفعه) : لقد قلت لك أيها الرئيس إنه هو الذي يبدأ دائما!...

(يقوم الأبله بضرب الصحفية على مؤخرتها ويشير إلى الرئيس) .

الصحفية : عفوا ، ولكن ما الذي تظن أنك تفعله ؟!

الرئيس : (يظن أنها تشير إلى الشجار) : أنت على حق ، ولكني أعرف كيف أفسر ذلك . برتوتسو : هذا يكفي واستمع إليَّ . السيدة هنا من أجل مسألة مهمة جدا ، أتفهم ؟ (يرفسه ويغمز له على نحو يوحي بالتآمر) .

برتوتسو : أفهم .

الرئيس : يمكنك يا سيدتي أن تطرحي عليه بعض الأسئلة لو شئت . المفتش خبير مدرب خصيصا على المتفجرات والقذائف .

الصحفية : أوه طبعا ، هناك شيء ما أود لو توضحه لي . لقد قلت أن تلك العلبة تحتوي على نسخة طبق الأصل عن قنبلة المصرف .

برتوتسو : حسنا ، إنها نسخة تقريبية ، حيث أن كل وسائل التفجير الأصلية قد أزيلت...

الصحفية : ولكن احدى القنابل لم تتفجر .

برتوتسو : هذا صحيح ، تلك التي تُركت في «مصرف التجارة» .

الصحفية : اذن فسر لي لماذا قاموا بدلا من نزع فتيلها وتسليمها

إلى «القسم العلمي» ، كما هي العادة حتى يتم فحصها بعناية ، لماذا قاموا لحظة أن وجدوها ، بدفنها في احدى الباحات ثم بتفجيرها ؟

برتوتسو : أعذريني ، لماذا تريدين معرفة ذلك ؟

الصحفية : أنت تعرف السبب بقدر ما أعرفه أنا أيها المفتش . بتلك الطريقة تم تدمير «توقيع» القتلة مع تدمير القنبلة .

الأبله : هذا صحيح . كما يقول المثل : «قل لي كيف تصنع قنبلة أقل لك من أنت» .

برتوتسو : (يهز رأسه) : لا يا سيدي ، هذا ليس بيتشيني على الاطلاق! (الأبله يمسك الآن بالعلبة التي تحتوي على القنبلة) .

الرئيس : طبعا ليس هو! اخرس!

برتوتسو : آه لقد عرفت ذلك . من هو اذن ؟ (يتلقى رفسة)

الأبله : لو سمح لي المفتش برتوتسو ، كرئيس لـ «القسم العلمي»...

برتوتسو : ومن سيصدق ذلك ؟ ما الذي تفعله ؟ أرجوك ، اترك هذه العلبة . إنها خطرة!

الأبله : (يرفسه بسرعة) : أنا من «القسم العلمي» . تحرك إلى هناك .

الرئيس : ولكن هل أنت على معرفة فعلا بهذه الأشياء ؟ (ينظر الأبله اليه باشمئزاز) .

الأبله : كما ترين يا سيدتي فان قنبلة من هذا النوع معقدة جدا... انظري إلى عدد الأسلاك هنا ، وهناك مفجران ،

وجهاز التوقيت ، فتيل ، نوابض ، روافع... وكما قلت ، فانها معقدة جدا بحيث يمكن للمرء بكل سهولة أن يخفي آلية مزدوجة بتفجير متأخر حتى لا يجده أحد ، الا اذا تم تفكيك القنبلة بأكملها قطعة قطعة... وهذا يتطلب يوما كاملا ، صدقيني!... وخلال هذه الأثناء : بوم!

الرئيس : (مخاطبا برتوتسو) : إنه يتكلم كاختصاصي ، أليس كذلك ؟

برتوتسو : (بعناد) : أجل ، ولكنه ليس بيتشيني .

الأبله : لذلك فضلوا أن يضيعوا توقيع القتلة ، كما سميت ذلك بنفسك ، وأن يفجروا القنبلة في الباحة حتى لا تنفجر في وسط الجمهور . مما سينجم عنه مجزرة أشد هولا من الأولى . هل فهمت ؟

الصحفية : نعم ، في هذه المرة اقنعتني بالفعل .

الأبله : لقد نجحت في اقناع نفسي!

المفتش : أنا مقتنع أيضا . حسنا ، كانت تلك فكرة ممتازة . (يمسك بيد النقيب ويصافحه بشدة . تخرج اليد الخشبية من مكانها ويجد نفسه يمسك بها مضطربا) .

الأبله : عجبا ، لقد خلعتها من مكانها . لقد قلت لك إنها خشبية!

المفتش : أنا آسف .

الأبله : والآن لم يتبق عليك سوى خلع ساقي! (يعيد يده الى مكانها) .

الرئيس : (الى برتوتسو) : يا برتوتسو ، قل شيئا ، حاول أن

تظهر أننا لسنا نياما في هذا القسم أيضا .
(يضربه على الكتف مشجعا) .

برتوتسو : بكل تأكيد . القنبلة الحقيقية كانت معقدة تماما . لقد شاهدتها . أكثر تعقيدا من هذه بكثير . من الواضح أنها من صنع فنيين على درجة عالية من الخبرة... محترفون كما يقال...

الرئيس : حذار!

الصحفية : محترفون ؟ عسكريون ربما ؟

برتوتسو : هذا أكثر من محتمل . (الثلاثة الآخرون يرفسونه) .

الرئيس : ضربة لعينة!

برتوتسو : آخ! عجبا ، ما الذي قلته ؟

الصحفية : (تنهي تسجيل الملاحظات) : آه ، أجل . صحيح . اذن حتى وأنتم مدركون لحقيقة أن تركيب ، هذا اذا لم نقل معالجة ، قنابل من النوع الذي يتطلب تدريب وخبرة المحترفين ـ المحترفون العسكريون على الأكثر ـ رغم ذلك ، وكما قلت ، فقد انقضضتم بجنون على مجموعة فوضوية منعزلة واحدة ، وأهملتم تماما البراهين الأخرى كافة... وأنا لست مضطرة إلى التأكيد على ايديولوجيا البراهين الأخرى وقناعاتها السياسية!

الأبله : طبعا ، اذا كنت ستهتدين برواية برتوتسو عن الحادثة . ولكن لا يمكن اعتبارها جديرة بالثقة إلى حد كبير ، حيث أنه ليس خبير متفجرات حقيقيا . إنه يهتم بذلك كهواية فقط!

برتوتسو : (وقد أحس بالاهانة) : هواية! لا شيء! ما الذي تعنيه

بأني لا أعرف شيئا حول الموضوع ؟ وما الذي تعرفه أنت بحق الجحيم ؟ ومن أنت على أية حال ؟ (يلتفت إلى رجال الشرطة الآخرين) هل لكما أن تقولا لي من هذا ؟ (المزيد من الرفسات مما يجبره على الجلوس) .

الرئيس : اسكت .

المفتش : اهدأ .

الصحفية : لا تقلق أيها المفتش ، أنا على ثقة من أن كل شيء قاله صحيح ، كما هو صحيح أن قوة الشرطة بكاملها والنظام العدلي قد سارعا الى اتهام ـ اذا جاز لي استعمال التعبير ـ أكثر تجمع من «المساكين» اثارة للشفقة : تلك المجموعة الفوضوية التي يرأسها الراقص!

الرئيس : أنت على حق ، كانوا مساكين ، ولكن هذه هي الواجهة التي أشادوها حتى لا يلفتوا الانتباه .

الصحفية : ما الذي تكتشفه خلف الواجهة فعلا ؟ تكتشف أنه من بين الأشخاص العشرة الذي يشكلون هذه المجموعة . هناك شخصان من أتباعك : محرضان وجاسوسان . أحدهما فاشي من روما ، معروف للجميع باستثناء مجموعة الأبرياء السذج تلك . والآخر واحد من عملاء الشرطة الذي يتنكر بزي الفوضويين .

الأبله : نعم ، فيما يخص الشرطي الآخر المتنكر كفوضوي ، فأنا لا أفهم كيف استطاعوا تصديقه . أنا أعرف هذا الشخص : إنه أحمق إلى حد أنك لو سألته عن « باكونين » لقال إنه نوع من الجبنة السويسرية ذات الثقوب!

برتوتسو : (جانبا) : أستطيع أن أقتل هذا الشخص . يبدو أنه يعرف كل شيء وكل شخص... ولكني أستطيع أن أقسم أني أعرفه!

الرئيس : أخالفك الرأي تماما أيها النقيب : ذلك الشرطي عميل ممتاز! ومدرب على نحو جيد جدا!

الصحفية : وهل لديك الكثير من هؤلاء الرجال المدربين جدا كمخبرين للشرطة منتشرين هنا وهناك بين المجموعات اليسارية المتطرفة ؟

الأبله : (يغني) : «الغولة تطير عاليا...»

الرئيس : أستطيع أن أقول لك بصدق ودون تردد إن لدينا الكثير منهم ، مزروعين في كل مكان تقريبا .

الصحفية : أوه ، الآن أنت تخدعني أيها الرئيس .

الرئيس : لا اطلاقا . حتى في هذه الليلة ، بين الجمهور هنا ، أضمن لك وجود عدد من رجالنا ، كما هي الحال دائما... هل تريدين رؤية ذلك ؟ (يصفق بيديه بقوة ، فتجيبه عدة أصوات من أماكن مختلفة من المسرح) .

الأصوات : نعم سيدي! حاضر أيها الرئيس! تحت أمرك!

الأبله : (يضحك ويلتفت نحو الجمهور) : لا تقلقوا ، هؤلاء ممثلون فحسب ، العملاء الحقيقيون موجودون هنا أيضا ولكنهم صامتون .

الرئيس : أترين ؟ اطمئني ، قوتنا تكمن في عملائنا ومخبرينا .

المفتش : نحن في حاجة اليهم لتحذيرنا حول ما يمكن أن يحدث ، والتدقيق في الأمور...

الأبله : وللتحريض على هجمات ارهابية حتى تكون لديهم ذريعة

لاحقا لتنفيذ اجراءات قمعية... (يلتفت رجال الشرطة نحوه مذهولين) لقد أردت أن أسبق الملاحظة التي كانت السيدة ستتلفظ بها فحسب ، وذلك دون أدنى ريب!

الصحفية : نعم دون ريب! وعلى أية حال ، فلو كان كل فرد من تلك المجموعة قيد المراقبة الشاملة والمستمرة ، فكيف تمكنت المجموعة من تنظيم هجوم معقد إلى هذا الحد دون قيامكم بمنعها من فعل ذلك ؟

الأبله : انتبهوا ، الغولة تستعد للانقضاض!

الرئيس : الحقيقة هي أنه خلال تلك الفترة كان الشرطي المخبر غائبا عن المجموعة .

الأبله : هذا صحيح ، بل لقد جلب مذكرة غياب موقعة من أبويه!

المفتش : أرجوك! (همسا) يا صاحب الفضيلة...

الصحفية : ولكن ماذا عن المخبر الآخر ، الفاشي ؟ لقد كان معهم ، أليس كذلك ؟ لقد كان معهم إلى حد أن القاضي في روما يعتبره المسؤول الرئيس عن تنظيم الهجوم والتحريض عليه . وبعبارات القاضي فقد استغل هذا سذاجة الفوضويين لجعلهم يقومون بتلك الهجمة التخريبية ، بينما لم تكن لديهم أية فكرة عن طبيعتها الاجرامية . هذه هي كلمات وأفكار القاضي .

الأبله : بانغ! الغولة قد حطت رحالها!

الرئيس : أولا ، أستطيع أن أقول لك إن الفاشي الذي تلمحين اليه ليس واحدا من مخبرينا بالتحديد .

الصحفية : اذن كيف حدث أنه كان يتسكع في مقر الشرطة ، وخاصة القسم السياسي في روما ؟

الرئيس : اذا كنت تقولين ذلك ، فهذه ليست طريقتي في فهم الأمور .

الأبله : (يمد يده إلى الرئيس) : برافو ، حركة دفاعية ممتازة! (يصافح الرئيس اليد الخشبية التي تبقى في يده)

الأبله : (دون اكتراث) : أوه ، هذا صحيح ، يمكنك أن تحتفظ بها . لديَّ واحدة أخرى .
(يخرج واحدة أخرى ، يدا خشبية نسائية)

المفتش : ولكن هذه يد امرأة!

الأبله : لا ، إنها «يونيسكس» أي مناسبة للجنسين . (يثبتها في مكانها)

الصحفية : (التي كانت في هذه الأثناء قد أخرجت عددا من الأوراق من حقيبة أوراق صغيرة) : آه ليست هذه طريقتك في الفهم ؟ اذن افترض أنا أيضا أنها ليست طريقتك في فهم أنه بين (١٧٣) هجوما بالديناميت جرت حتى هذا اليوم ـ اثنا عشر هجوما كل شهر ، وهجوم واحد كل ثلاثة أيام ـ من بين هذه الهجمات المئة والثلاثة والسبعين ، (تقرأ من الوثيقة) فقد تبين أن (١٠٢) منها قد نظمت من قبل الفاشيين . وزيادة على ذلك ، بالنسبة إلى ما يزيد على نصف عدد الهجمات الـ (٧١) المتبقية ، فان هنالك تلميحات قوية إلى أنها قد نظمت أيضا من قبل الفاشيين ، أو من قبل منظمات متشابهة على أية حال .

الأبله : (يلوح بيده الخشبية كمروحة تحت ذقنه كاشارة تدل

على عدم التصديق) : هذا لا يصدق!

الرئيس : نعم ، تلك الأرقام يجب أن تعتبر كعلامات دقيقة... ما رأيك أيها المفتش ؟

المفتش : سيكون عليَّ أن أتأكد منها ، ولكنها تتطابق عموما على ما أظن مع الأرقام التي لدينا .

الصحفية : ها هه . اذا توفر لديك الوقت اللازم في يوم من الأيام ، فلماذا لا تحاول التأكد من عدد الهجمات التي نظمت بهدف زرع الشك في المجموعات اليسارية المتطرفة ووضع المسؤولية على كاهلها ؟

المفتش : حسنا ، كلها تقريبا... هذا واضح .

الصحفية : نعم ، هذا واضح . وكم مرة خدعت بها... بسذاجة تقريبا ؟

النقيب : (مازال يدير اليد النسائية حول وجهه) : أووه! يا للخساسة!

الرئيس : فيما يتعلق بذلك فان عددا من القادة العماليين وبعض قادة الحزب الشيوعي قد خدعوا به ، بسذاجة تقريبا . انظري ، لديَّ مقالة هنا من صحيفة «لونيتا» التي تتهمهم بـ «اليسارية المتهورة والمغامرة بحمق»... وذلك بسبب عمل تخريبي للممتلكات العامة تبين لاحقا أنه ليس لهؤلاء المخربين علاقة به .

الصحفية : أعرف ذلك : كانت تلك صحيفة يمينية بدأت تنشر تلك الاشاعات مستعملة الشعار المألوف : «صدام الأطراف المتعارضة» . وهذا من شأنه أن يكون له تأثيره على الدوام... وبالنسبة اليكم أيضا!

الأبله : مصاصة دماء!

برتوتسو : ولكنني لا أستطيع أن أقسم أني أعرفه! عليَّ أن أخلع الرقعة التي على عينه .

الأبله : (يتوسط على نحو ساخر) : حسنا ، ما الذي تتوقعينه يا سيدتي ؟ أن نرد على استفزازاتك الواضحة بأن نعترف بأننا في الشرطة لو حرصنا على تتبع أدلة أكثر ثقة ، كالمنظمات شبه العسكرية والفاشية التي يمولها كبار الصناعيين ، والتي يقودها ويؤيدها القادة العسكريون في اليونان والمناطق المجاورة ، بدلا من أن نطارد تلك الحفنة من الفوضويين رثي الملابس ، لكنّا سنصل إلى أساس المشكلة ربما ؟

الرئيس : (مخاطبا برتوتسو الذي جن جنونه) : لا تقلق ، سأحاول أن أقلب الوضع ضده على نحو فجائي . هذه هي التقنية التي يستخدمها هو . لقد أصبحت أعرفها الآن! الديالكتيك اليسوعي!

الأبله : اذا كان هذا ما تظنه فسأقول لك إنك على حق . لو اتخذنا هذه الطريق الأخرى ، لكنا وصلنا إلى شيء ما... ها ها!

برتوتسو : يا ولد ، هذا ديالكتيك يسوعي فعلا ، حسنا!

الرئيس : (للنقيب) : هل أصبت بالجنون ؟

برتوتسو : (وقد التمعت لديه الفكرة فجأة) : جنون ؟ (يتذكر) المجنون... لقد عرفته!! إنه هو!

الصحفية : عليَّ أن أعترف بأن مثل هذه التصريحات ، اذ تصدر عن رجل من الشرطة فإنها تثير القلق فعلا!

برتوتسو : (يشدُّ كُمَّ الرئيس) : أيها الرئيس ، لقد عرفت من هو هذا الشخص . أنا أعرفه .

الرئيس : حسنا ، فلنحتفظ بهذه المعلومات لنفسك . لا تهذر بها . (يترك برتوتسو في موقف حرج ويذهب لينضم إلى الأبله والصحفية) .

برتوتسو : (يشد المفتش المرتدي للملابس العادية جانبا) : أقسم لك أني أعرف هذا الشخص . لم يسبق له أن كان في الشرطة أبدا . إنه متنكر .

المفتش : أعرف ذلك ، أنت لا تخبرني بمعلومات جديدة . ولكن لا تدع الصحفية تسمعك .

برتوتسو : ولكنه مجنون ، ألا تفهمني ؟

المفتش : أنت هو المجنون ، حيث انك لن تدعني أسمع كلمة مما يقولونه! أصمت!

الأبله : (الذي كان يتحدث في هذه الأثناء بحيوية مع الشخصين الآخرين ، يستمر في كلامه) : طبعا أنت صحفية ، وسوف تروق لك هذه الفضيحة ستشعرين ببعض القلق فحسب عندما تكتشفين أن تلك المجزرة التي راح ضحيتها الأبرياء في المصرف قد كان الهدف منها اخفاء الصراعات التي برزت خلال «الخريف الحار»[1]... وخلق ذلك النوع من التوتر الذي من شأنه تحضير المواطنين ، الذين أصيبوا بالاشمئزاز والغضب من هذا الاجرام

---

(١) يشير هذا المصطلح إلى موجة الاضرابات والمظاهرات والاهتياج السياسي التي اجتاحت ايطاليا في خريف عام (١٩٦٩) ، وشارك فيها العمال والطلاب وقطاعات أخرى من المجتمع المعارضة على نحو مساو للمؤسسة الحاكمة

التخريبي ، للمطالبة بانشاء نظام فاشي هم أنفسهم!

المفتش : لا أتذكر إن كنت قد قرأت ذلك في صحيفة « لونيتا » أو « لوتاكونتينووا » . (النضال المتواصل)[1] .

برتوتسو : (يتسلل إلى خلف الأبله ويزيح الرقعة عن عينيه) : ها أنتم ترون أنه ليس أعور ، عينه موجودة!

الرئيس : حبا بالله ، هل فقدت عقلك! طبعا عينه موجودة! ولم لا تكون موجودة ؟

برتوتسو : لماذا يرتدي الرقعة اذن إن كانت عينه سليمة ؟

المفتش : ولكن عينك أنت سليمة أيضا تحت تلك الضمادة... ولا يحاول أحد أن يخلعها!

الصحفية : أوه ، لكن هذا مسل... هل وضعت تلك الرقعة كنزوة ؟

الأبله : لا ، ولكن حتى لا يقع نظر أحد على عيني . (يضحك) .

الصحفية : ها ها! هذا جيد . ولكن هيا احكِ لي عن تلك الفضيحة التي كان ممكنا أن تنفجر .

الأبله : أوه ، نعم ، فضيحة هائلة... اعتقالات كثيرة في أوساط اليمين ، محاكمات عديدة... كل أنواع المناصب الكبيرة ستكون متورطة : أعضاء مجلس شيوخ ، أعضاء في البرلمان ، ضباط كبار... سيبكي الديموقراطيون الاشتراكيون ويعولون[2]... ستقوم صحيفة « كورييره ديلاسيرا » بتغيير رئيس تحريرها... وسيطالب اليسار

---

(١) هذه هي الصحيفة اليومية لمنظمة رئيسة تقع سياسيا الى يسار الحزب الشيوعي الايطالي والتي تحمل أيضا اسم « النضال المتواصل » . وقد تم حل هذه المنظمة عام (١٩٧٥) ، ولكن صحيفتها لاتزال تصدر

(٢) الحزب الديموقراطي الاشتراكي واحد من الأحزاب الصغيرة « غير الدينية » الممثلة في البرلمان الايطالي ، ومعروف عنه مواقفه المعادية للشيوعيين بشدة

باعتبار المنظمات الفاشية منظمات غير شرعية...
الجواب : سنرى رئيس قسم الشرطة يمدح بسبب العملية الشجاعة ، ثم يستقيل من عمله .

الرئيس : لا أيها النقيب... هذه الاستنتاجات ، اذا سمحت لي ، مجانية بعض الشيء .

الصحفية : في مثل هذه الحالة فأنا أوافقك الرأي أيها الرئيس . أعتقد أن ذلك النوع من الفضائح سيجلب المزيد من المزايا للشرطة . سيجعل المواطنين يشعرون أنهم يعيشون في وضع أفضل ، ضمن نظام عدلي أقل ظلما .

الأبله : طبعاً... وسيكون ذلك أكثر من كاف! هل يطالب الناس بنظام ، عادل فعلاً ؟ حسناً ، سنرتب الأمور بحيث يكونون راضين بنظام أقل ظلماً . العمال سيصرخون : «لنضع حدا لهذا الاستغلال المشين الحيواني»... وسنرتب الوضع بحيث لا يشعرون بالخجل بعد ذلك طالما بقوا مستغلين . وسيريدون ألا يقتلوا في المصانع بعد ذلك ، لذلك سنجهزهم بالمزيد من اجراءات الوقاية ونزيد قليلا مكاسب المتبقين منهم أحياء . يريدون أن يروا المجتمع الطبقي وقد زال من الوجود... سوف نرتب الأوضاع بحيث لا تكون الفوارق الطبقية كبيرة جدا ، أو بحيث لا تكون واضحة للعيان إلى هذا الحد! إنهم يريدون ثورة ، سوف نعطيهم هذه الاصلاحات... الكثير من الاصلاحات ، سنغرقهم بالاصلاحات ؛ أو بالاحرى سنغرقهم بالوعود بالاصلاحات ، لأننا لن نمنحهم أبدا اصلاحات حقيقية ، أبدا!

المفتش : أتعرف بمن يذكرني ؟ إنه يذكرني بـ «ماروته» ، ذلك القاضي الذي يحاكم الآن بسبب اهانته للمحكمة .

الرئيس : لا ، لا ، هذا أسوأ منه... إنه مجنون تماما!

برتوتسو : طبعا هو مجنون . وأنا أحاول إقناعكم بذلك منذ ساعة!

الأبله : سترون أن المواطن العادي لا يتحمل أن يكسب أي شيء من اختفاء الصفقات القذرة . لا ، يكفيه أن يراها وقد شجبت ،أن يرى الفضيحة تنطلق بحيث يتحدث الناس عنها . بالنسبة اليه ، هذه هي الحرية الحقيقية وأفضل عالم ممكن... هلليلويا!

برتوتسو : (يمسك بساق الأبله الخشبية ويهزها) : انظروا إلى هذه ، انظروا إلى ساقه ، ألا ترون أنها مزيفة ؟

الأبله : طبعا هي مزيفة ، إنها مصنوعة من خشب الجوز اذا توخيت الدقة .

الرئيس : كلنا نستطيع رؤية ذلك .

برتوتسو : ولكن هذه حيلة ، إنها مربوطة بركبته! (يحاول أن يفك السيور الجلدية) .

المفتش : دعه في حاله ، أيها الأحمق المغفل! هل تحاول أن تفككه إلى أجزاء ؟

الأبله : لا ، دعه يفعل ما يريد . دعه يفككني . شكرا . كانت هذه الساق قد بدأت تخزني .

الصحفية : أوه ، بحق السماء ، لماذا تقاطعه باستمرار ؟ هل تعتقد أنك ستجعله أقل مصداقية في نظري لأنه ليست له ساق خشبية ؟

برتوتسو : لا ، بل لأريك أنه عبارة عن متبجح ثرثار ، «مجنون

نفاق» ، وأنه لم يسبق له أن أصيب بتشوهات ولا هو بنقيب...

الصحفية : من هو اذن ؟

برتوتسو : إنه مجرد... (الرئيس والشرطي والمفتش يندفعون نحوه ويكممون له فمه ويجرونه بعيدا) .

الرئيس : اعذريني يا سيدتي ، ولكنه مطلوب على الهاتف . (يدفعونه نحو كرسي عند المكتب ويجلسونه عليه ويلصقون سماعة الهاتف بفمه) .

المفتش : (في أذنه) : أيها المجنون الأخرق ، هل تريد أن تدمرنا ؟ (على الجانب الأيمن تستمر الصحفية والنقيب في التحدث دون أن يكترثا بمجموعة رجال الشرطة) .

الرئيس : ألا تفهم أن ذلك يجب أن يبقى سرا ؟ اذا عرفت المرأة شيئا عن التحقيق المضاد فقد قضي علينا!

برتوتسو : أي تحقيق مضاد ؟ (السماعة تدفع مرة أخرى على فمه) . ألو!

المفتش : أتقول لي إنك لا تعرف ؟ كيف كنت تدعي أنك تعرف كل شيء وأنت الجاهل تماما ؟ أنت تهذر وتهذر ، وتلخبط الأمور كلها...

برتوتسو : لا ، لا ألخبط شيئا . بل أريد أن أعرف...

الرئيس : صه! (يضربه على يده بالسماعة) . استمر في التحدث على الهاتف واخرس!

برتوتسو : آخ! آلو ، من المتكلم ؟

الصحفية : (التي كانت تحادث النقيب المزيف طوال هذه الفترة) : أوه ، لكم هذا مسل! ليس عليك أن تقلق بعد الآن أيها

الرئيس ، فالنقيب ، أي النقيب السابق ، قد حكى لي كل شيء!

الرئيس : وما الذي قاله لك ؟

الصحفية : عن حقيقة أمره! عمن يكون!

المفتش والرئيس : هل قال لك فعلا ؟

الأبله : نعم ، لم أعد أستطيع الاستمرار في الكذب . لقد عرفت من تلقاء نفسها .

الرئيس : ولكن... ولكنك جعلتها في الأقل تعدك بألا تؤكد ذلك في الصحيفة ؟

الصحفية : أوه ، طبعا سأذكر ذلك في الصحيفة! (تقرأ من دفترها) : «في مقر رئاسة الشرطة قابلت أسقفا مرتديا ملابس شخص عادي! » .

المفتش والرئيس : أسقفا ؟

الأبله : نعم ، اغفروا لي أني أخفيت ذلك عنكم . (وبكل طبيعية يدير قبته ليكشف عن القبة الخاصة برجال الكنيسة وعن صدرة سوداء) .

برتوتسو : (يصفع نفسه على جبينه) : أسقف الآن! أنتم لا تصدقونه ، أليس كذلك ؟

(المفتش يمسك بختم مطاطي كبير ويحشو له فمه به) .

المفتش : كفانا منك ما فعلته حتى الآن!

(الأبله قد أخرج الآن قبعة كنسية حقيقية ووضعها فوق رأسه . وبحركات مدروسة متأنية يفك أزرار جاكتته ويكشف عن صليب مزخرف من الذهب والفضة ، ثم يلبس في إصبعه خاتما ذا فص كبير بلونٍ بنفسجي) .

الأبله : اسمحوا لي أن أقدم نفسي : الأب أوغوستوس بيرينييه ، المعين من قبل الكرسي الأسقفي كمراقب اتصال مع الشرطة الايطالية . (يعرض خاتمه ليتم تقبيله من قبل الشرطي الذي يندفع ويقبله على نحو شره) .

برتوتسو : (يتقدم وهو يزيل الختم من فمه) : اتصال مع الشرطة ؟

الأبله : بعد القاء الحجارة الذي تعرض له الأب المقدس ، في سردينيا وكاستيل غاندولفو مؤخرا[1] ، تستطيعون أن تفهموا جيدا أن هذا من واجبنا ، كممثلين للبابا ومؤتمنين من قبل الكنيسة ، أن نحذر مسبقا... وأن نقيم الاتصالات...

برتوتسو : أوه ، كلا! هذا لا يحتمل ، والآن أصبح شرطيا برتبة أسقف ، لا أقل من ذلك! (المفتش يعيد الختم إلى فمه ويجره بعيدا) .

المفتش : ولكننا نعرف أن هذا كله هراء أيضا! لقد حول نفسه إلى أسقف عن عمد ، لينقذنا... ألا تفهم ؟

برتوتسو : لانقاذنا ؟ هل أصابتك نوبة تصوف ؟ هل أنت في حاجة إلى انقاذ روحك ؟

المفتش : اخرس وقبّل خاتمه! (يجبره على أن يحني رأسه نحو يد الأبله . في هذه الأثناء يكون الأبله بلا مبالاة أو تكلف ،

---

(١) في الرابع والعشرين من نيسان (ابريل) من عام (١٩٧١) ، زار البابا بولص السادس جزيرة سردينيا . وقد كانت تلك حادثة ذات أهمية حيث كانت أول زيارة بابوية إلى جزيرة قريبة خلال سبعة عشر قرنا . وهنا ، كما في مناطق أخرى متخلفة نسبيا من ايطاليا ، فان الكنيسة ليست معروفة على أنها بطلة للتقدم والتحرر الاجتماعي وليس من المدهش اطلاقا أن استقبل البابا بوابل من الحجارة التي ادعى أن الفوضويين هم الذين قاموا برميها وقد جرت حادثة مشابهة بعد ذلك بفترة قصيرة في « كاستل غاندولفو » في روما

قد جعل الجميع يقدمون له آيات الخضوع) .

برتوتسو : لا ، اللعنة! ليس الخاتم! ارفض ذلك لا بد أنكم جننتم جميعا! لقد أصابكم بالعدوى .

(المفتش والشرطي قد أحضرا بسرعة بعض الضمادات التي يضعانها دون الكثير من الضجة فوق فم برتوتسو ، بحيث يغطيان له نصف وجهه ، ومن أنفه فنازلا) .

الصحفية : يا الهي ، ما الذي حدث للرجل المسكين ؟

الأبله : نوبة على ما أعتقد . (يخرج من كتاب صلواته حقنة طبية ويجهز نفسه لحقنه بها) . أمسكوه جيدا ، من شأن هذه أن تفيده . إنها تحوي مهدئا بنديكتيا . (وبسرعة الحية ذات الأجراس يحقنهُ ثم يخرج الحقنة ويراقبها) . يقول للرئيس : بقي هناك القليل . هل تحب أن تجربها أنت أيضا ؟ (ودون أن ينتظر جوابا يحقنه هو أيضا برشاقة مصارع الثيران المساعد الذي يخز الثور بالسهام والرماح ليوهنه . صوت عويل مخنوق يصدر عن الرئيس) .

الصحفية : ربما لن تصدق ذلك يا صاحب النيافة ، ولكن منذ قليل ، عندما كنت تتحدث عن الفضائح وصحت : « إنه أفضل عالم ممكن ، هلليلويا! » ، فقد علقت فورا... وآمل أن تغفر لي عدم التوقير الذي أبديته...

الأبله : أوه ، لا يهم .

الصحفية : لقد قلت : «واو! هذا أشبه بكلام قسيس!» أنت لم تنزعج ، أليس كذلك ؟

الأبله : ولماذا أنزعج ؟ هذا صحيح ؟ لقد تكلمت كقسيس

فعلا ، وأنا كذلك بالفعل . (يكتب برتوتسو بقلم من النوع العريض على ظهر صورة رئيس الدولة : «إنه مجنون ، مجنون!» وها هو يري ذلك إلى الآخرين من وراء ظهر الأسقف) . ومرة أخرى ، حين اكتشف غريغوري العظيم والذي كان قد انتخب حبراً أعظم للتو ، أن بعض أعضاء البلاط البابوي كانوا يحاولون استخدام المؤامرات والمناورات ، فقد غضب ونطق بجملته الشهيرة : «نوليموس أوت فيليموس ، أو منيبوس جنتيبوس ، جوستينيام ايت فيريتاتم...» .

الصحفية : أرجوك يا صاحب النيافة ، فقد رسبت في امتحان اللاتينية ثلاث مرات متوالية!

الأبله : طبعا . حسنا لقد قال باختصار : «سواء أحببتم ذلك أم لا ، فسوف أفرض الحقيقة والعدالة . سأفعل كل ما هو ممكن بشريا لأكشف الفضائح علناً ، ولا تنسوا أنه تحت روائح الفضيحة الخبيثة ، ستغرق السلطة كلها . مرحباً بالفضيحة ، فعليها تعتمد أعظم سلطة دائمة للدولة!»

الصحفية : يا له من أمر رائع! هل لك أن تكتب لي هذا الاقتباس كله ؟ هنا ؟(الأبله يبدأ بكتابة الاقتباس ، الذي أخذه عن القديس غريغوري زوْراً ، وذلك في دفتر الصحفية . في هذه الأثناء ، يكون المفتش قد أمسك بصورة رئيس الدولة التي كُتِبَ على ظهرها تحذير برتوتسو ، ويبعدها عن زميله ثم يمزقها) .

الرئيس : (يهاجمه) : ما الذي فعلته بحق الجحيم ؟ هل مزقت

صورة رئيس الدولة ؟ ألا تعرف أن هذا مخالف للقانون ؟ ما الذي جرى لك ؟

المفتش : (مشيرا إلى برتوتسو) : ولكن أيها الرئيس ، إن ما كتبه...!

الرئيس : قد اتفق معك حول وجود معين لدى الناس يجعلهم يكتبون رسائل ميلودرامية موجهة إلى الجمهور... ولكن هذا ليس سببا يدعونا إلى تدمير صورته! عليك أن تخجل من نفسك!

(خلف الأسقف ، كانت الصحفية تقرأ مرة أخرى وتتأمل في مغزى القول المأثور للقديس غريغوري) .

الصحفية : أي بكلمات أخرى ، يبدو أنه حين لا تكون هناك فضيحة فإنه من الضروري اختراعها ، لأنها طريقة رائعة في المحافظة على السلطة عن طريق ايجاد «صمام تنفيس» لضمير الجماهير المصاب بالاستياء .

الأبله : بكل تأكيد ، إنها التطهير الذي يخفف كل التوتر . وأنتم أيها الصحفيون المستقلون كهنتها الجديرون بالاطراء .

الصحفية : الجديرون بالاطراء ؟ حسنا ، ليس فيما يخص حكومتنا ، لأنها تصاب بالجنون وتحاول أن تكتم كل فضيحة نكشفها .

الأبله : طبعا يجن جنون حكومتنا ، فهي مازالت رجعية وفي مرحلة ما قبل الرأسمالية... ولكن انظري من ناحية أخرى إلى الحكومات المتطورة ، كتلك التي في أوروبا الشمالية! هل تتذكرون فضيحة «بروفوميو» في انكلترا ؟ وزير الحرب المتورط مع مجموعة من العاهرات

وتجار المخدرات والجواسيس ؟! هل انهارت الدولة يا ترى! هل انهارت البورصة ؟ لا اطلاقا ، بل إن الدولة وسوق البورصة أصبحتا أقوى بكثير بعد الفضيحة ، أقوى من أي وقت مضى . لقد فكر الناس قائلين : «نعم ، هناك شيء فاسد ، حسنا ، ولكنه صعد إلى السطح» . نحن نسبح فيه ونحاول أن نشربه حتما ، ولكن لا يستطيع أحد أن يحاول أن يقول لنا إنه شاي بالليمون! وهذا هو ما يهم! الشيء المهم هو اقناع الناس بأن كل شيء على ما يرام . أمريكا وهي أمة متطورة جدا ، غارقة حتى أذنيها في الفضيحة . إنهم يغتالون رئيسا لأنه ليس محافظا إلى حد كاف... السي آي إيه CIA والأف بي آي FBI متورطان في عملية الاغتيال... وهناك عشرون شاهدا تقريبا قد جرت تصفيتهم... الرأي العام مذهول ، وهناك تحقيقات ومحاكمات . الصحافة والتلفزيون يصرخان ، ويتهمان ويستنكران... والنتيجة المباشرة لهذا كله ، هو استبدال ضحية الاغتيال ، إنهم ينتخبون جونسون أولا ثم نيكسون ، لا أقل من هذين!

الصحفية : هل تعني أن الفضيحة هي منبت الرجعية ؟

الأبله : لا ، الفضيحة هي ترياق لسمّ أسوأ من ذلك حتى ، أي اكتساب الناس للوعي السياسي . في الواقع هل فرضت الحكومة الأمريكية أي رقابة تمنع الناس من اكتشاف الحقائق حول اغتيال جميع قادة الحركة السوداء ، أو ذبح الآلاف من سكان فيتنام العزل ؟ لا ، أبدا ، بل العكس هو الصحيح ، فالتلفزيون والصحف راحت

ولأسابيع بحالها تصرخ من على الأسطحة بمعلومات عن عمليات القتل المخجلة ، عن الرعب والسخط... بل خرجت احدى الصحف اليومية في نيويورك بعنوان رئيس يقول : «نحن أكبر القتلة في العالم» .

الصحفية : أجل ، أتذكر ذلك . وتحت العنوان الرئيس كانت هناك صورة كبيرة على خمس أعمدة لأطفال مذبوحين . وقد اشتريت كحق مقصور على صحيفة واحدة بمبلغ كبير من المال إلى حد لا يصدق!

الأبله : ولكن أمريكا ، والنظام الأمريكي ، لم يستمتعا قط بمثل هذا الدعم القوى الحماسي كما يستمتعان به اليوم... ليس من قبل الصناعيين الكبار فحسب ، بل من كل العمال وعمال المصانع على نحو خاص . إنهم راغبون تماما في الخروج والتظاهر ، اذا دعت الضرورة ، حتى يستطيعوا تلقين درس لأولئك المخربين القذرين ، البيض منهم والملونين ، الذين يهددون دولة أرباب عملهم!

الصحفية : اذن سيكون الشعار هو : «علينا الا نحاول تغيير الدولة البرجوازية ، بل أن ندمرها!» هذا هو الاستنتاج الواضح الذي يجب أن نستمده من كل ما قلته يا صاحب النيافة .

(برتوتسو ، الذي كان مقرفصا في المؤخرة طوال هذ الوقت ، كأنه يريد أن يقفز ويخرج مسدسا فجأة ويوجهه إلى رجلي الشرطة الآخرين ، ثم يمزق كمامته ويصرخ بتصميم بارد) .

برتوتسو : ارفعوا أيديكم! ظهوركم إلى الحائط أو اطلق النار!

المفتش : ماذا... برتوتسو ، هل جننت ؟

برتوتسو : أقول ارفعوا أيديكم ، وأنت أيضا أيها الرئيس . أقول لك إني لن أتردد .

الصحفية : يا الهي!

الرئيس : اهدأ يا برتوتسو .

برتوتسو : بل اهدأ أيها الرئيس ، ولا تقلق . (يرفع رزمة من القيود من المكتب ، ويعطيها إلى الشرطي ويأمره بأن يكبل أيدي الجميع) . هيا ، واربطهم إلى مشجب المعاطف ، واحدا واحدا . (على الجدار الخلفي هناك في الحقيقة مشجب أفقي يتم ربط الجميع به ، الواحد في إثر الآخر ، أحد طرفي القيد في الرسغ والآخر مربوط بالمشجب) . لا تنظروا إليَّ هكذا ، ستفهمون سريعا أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها أن أجعلكم تصغون إليَّ . (يخاطب الشرطي الذي كان مترددا في أن يقيد الصحفية) . نعم ، والسيدة أيضا... وقيد نفسك أيضا . (يلتفت إلى الأبله) وأنت يا ابن القحبة الصديق القادم من المزرعة المضحكة ، تستطيع الآن أن تقدم لي صنيعا وتقول لهؤلاء السادة من أنت بالفعل . وإلاّ ، وبما أن الأمور قد وصلت إلى هنا (يشير إلى أنفه) فسوف أطلق النار بين عينيك... هل فهمت ؟ (الشرطي والصحفية يعبران عن غضبهما عن هذا العمل الذي ينافي الوقار ولكن برتوتسو يقاطعهما) اسكتا!

الأبله : يسرني ذلك ، ولكني أخشى أنهم لن يصدقوني لو

نطقت ذلك بصوت مرتفع .

برتوتسو : ما حكايتك ؟ أتريد أن أرسل لهم برقية مغناة ؟

الأبله : لا ، ولكن يكفي أن أقدم لهم وثائقي... وسجلي المرضي الخاص بمستشفى الأمراض النفسية ، الخ...

برتوتسو : أوكي . أين هي ؟

الأبله : هناك ، في الحقيبة .

برتوتسو : هيا تحرك ، اذهب واحضرها ، ولا تحاول ممارسة أية حيلة والا قتلتك!

(الأبله يخرج نصف دزينة من الكتيبات والمصنفات) .

الأبله : اليك الوثائق . (يسلمها إلى برتوتسو)

برتوتسو : (يأخذها ويوزعها على الأسرى المقيدين الذين تركت أيديهم اليسرى حرة) : اليكم أيها الناس... والمشاهدة تعني التصديق!

الرئيس : لا! معلم سابق للرسم ؟! متقاعد على أساس العجز المرضي ؟! مصاب بجنون رؤيوي ؟! ولكن... هذا الشخص مجنون!

برتوتسو : (متنهدا) : منذ ساعة وأنا أقول لك ذلك!

المفتش : (يقرأ من ملف آخر) : مستشفى الأمراض النفسية في ايمولا ، فوغيرا ، فاريزي ، غوريتسيا ، بارما... لقد دخل هذه المستشفيات كلها!

الأبله : طبعا ، رحلة المجانين الكبرى عبر ايطاليا كلها .

الصحفية : خمس عشرة معالجة بالصدمة الكهربائية... عشرون يوما في جناح العزل... ثلاث هجمات تخريب للممتلكات العامة ..

الشرطي : (يقرأ في الوثيقة) : مريض بهوس الإحراق! عشر قضايا بتهمة الحرق المتعمد!

الصحفية : دعوني أرَ . أحرق مكتبة الاسكندرية ؟ الاسكندرية ، مصر . في القرن الثاني بعد الميلاد!

برتوتسو : هذا مستحيل ، أعطوني إياها! (ينظر الى الوثيقة) : ولكنه أضاف ذلك بنفسه بخط يده... أترون! من مصر وحتى اليوم...!

الرئيس : إنه مزيف أيضا... محتال يسلب الناس أموالهم بعد أن يكسب ثقتهم ، ودجال ، وفنان سريع اليد... (مخاطبا الأبله ، الذي يجلس هناك وحقيبته الكبيرة على ركبتيه ، وقد راح يحدق شاردا في اتجاه آخر) حسنا ، سأضعك خلف القضبان بسبب استغلالك غير الشرعي وانتحالك المزيف لسلطات مدنية ودينية!

الأبله : (عابثا وهو يهز رأسه من جانب إلى آخر) : ها هه!

برتوتسو : لا مجال ، إنه مجنون رسمي . أنا أعرف القصة كلها مسبقا!

الصحفية : هذا مخجل ، كنت على استعداد لكتابة مقال جيد جدا... وقد خرب الأمر كله!

المفتش : سأخربه! سأدمره! برتوتسو ، هل لك أن تتفضل فتفك قيدي ؟

برتوتسو : فكرة عظيمة ، وهكذا يكون قد قضي عليك فعلا . عليك أن تعرف أن المجانين في هذا البلد أشبه بالغربان المقدسة في الهند... ضع اصبعك عليهم حتى يعدموك دون محكمة قانونية!

الرئيس : ذلك المتسكع القذر ، المجرم ، الأحمق... يدعي أنه قاض... التحقيق المضاد... حين أفكر أنه كاد يغمى عليَّ بسببه!

الأبله : لا ، لم تصب إلى هذا الحد... خاصة اذا ما قارنت ذلك بما ستشعر به الآن! (يخرج من حقيبته العلبة المعدنية التي تركها برتوتسو على الطاولة) . عِدّوا حتى العشرة وسنطير جميعا في الهواء!

برتوتسو : ما الذي تظن أنك فاعل . بحق الجحيم... لا تكن مغفلا!

الأبله : أنا مجنون ولست مغفلا . انتبه إلى ما أقوله يا برتوتسو ، وارم بمسدسك بعيدا... وإلاّ سأضع إصبعي هنا في «الصمام» وننتهي بسرعة .

الصحفية : أوه يا الهي! مجنون ، أرجوكم...

الرئيس : لا تصدق ذلك يا برتوتسو . القنبلة منزوعة الفتيل ، كيف يمكن أن تنفجر ؟

المفتش : صحيح ، لا تنخدع به .

الأبله : حسنا اذن يا برتوتسو ، بما أنك تعرف الكثير عنها ـ حتى لو كان نحوك وصرفك سيئين ـ فانظر إن كان هناك أم لا... أعني الصاعق... انظر ، هنا... ألا تراه ؟ وهو صاعق من النوع الصوتي من طراز «لونغبر» .

برتوتسو : (يكاد يغمى عليه ، يسقط المسدس ومفاتيح القيود) : صاعق صوتي من طراز «لونغبر» ؟ ولكن أين وجدته ؟ (يلتقط الأبله المفاتيح والمسدس) .

الأبله : لقد كان معي . (يشير الى حقيبته الكبيرة) لديَّ كل شيء هنا! وحتى آلة تسجيل ، استعملتها لتسجيل كل

شيء قلتموه منذ أن دخلت إلى هنا .

(يخرج آلة تسجيل ويريهم اياها) ها هي!

الرئيس : وما الذي تنوي أن تفعله بها ؟

الأبله : أنسخ منها مئتي نسخة وأرسلها إلى كل مكان : إلى رئاسة الأحزاب السياسية ، الصحف ، الوزراء... ها ها! وستكون تلك فضيحة كبيرة!

الرئيس : لا ، لا يمكنك أن تفعل ذلك . أنت تعرف أن هذه التصريحات التي قلناها كانت مزيفة ومشوهة بسبب استفزازاتك ، بينما كنت تدعي أنك قاض!

الأبله : لا يهم ، ومن سيكترث بذلك ؟ الشيء المهم هو أن تنتشر الفضيحة... سواء شئت ذلك أم لا! وذلك حتى يصبح الشعب الايطالي ، شأن الانكليز والامريكان ، ديمقراطيا ، اشتراكيا وعصريا ، وحتى يستطيع أن يصيح أخيرا : «هذا صحيح ، نحن غارقون حتى أعناقنا في الغائط ، ولذلك بالذات نسير ورؤوسنا عالية!» ذاك الذي يدرك ما يطفو هناك تحت ذقنه مباشرة سيزداد شرفا على الفور! (وبينما يقول ذلك يقيد برتوتسو أيضا ثم يربطه بمشجب المعاطف) .

المفتش : حسنا افعل ما تريد... ولكن أرجوك ، انزع فتيل تلك القنبلة فورا .

الأبله : لا ، سأتركها هنا! ستجعلكم تجلسون دون حراك حتى أكون قد هربت من قبضتكم . وقبل أن أخرج سأدفع هذه الرافعة نحو الأسفل ، ثم أخرج على رؤوس أصابعي مبتعدا . في هذه الأثناء الأفضل لكم أن تبقوا هنا ، وأن

تمسكوا بأنفاسكم لأنكم لو قمتم بأية حركة لتضربوا جرس الانذار ، سينفجر هذا المكان ويصعد إلى أعالي السماء ، ولن تبقى منكم ذرة واحدة... ولا حتى زر واحد!

(في هذه اللحظة تطفأ الأنوار)

الصحفية : ما الذي حدث ؟ من أطفأ النور ؟

الأبله : من فعل ذلك ؟ لا أريد أية نكات... لا... النجدة!!

(نسمع صرخة تستمر حتى خارج الخشبة ، ويتبعها صوت انفجار ، خارج الخشبة أيضا وكأنه قادم من ساحة داخلية)

الرئيس : يا للمسيح عيسى ، لا شك أن المجنون قد رمى القنبلة من النافذة! هل لكم أن تشعلوا النور ؟

المفتش : لا شك أنه حدث انقطاع في التيار ، يا برتوتسو ، انت هناك قرب الزر ، حاول أن تشعل النور...

(النور يعود مرة أخرى في تلك اللحظة ونرى برتوتسو ويده على النور) .

الرئيس : أوه أخيرا!

برتوتسو : يا الهي! وى! كيف حدث ذلك يا ترى ؟

الصحفية : المجنون ؟ هل ذهب ؟

المفتش : لا بد أنه خرج...

الشرطي : (يدير قبضة الباب) : الباب مغلق بالمفتاح .

المفتش : ... النافذة!

الصحفية : أوه ، انظروا ، رسغي نحيل إلى حد أن القيد قد انزلق منه وحده!

الرئيس : هذا عظيم ، نتمنى لو كنا محظوظين مثلك . ولكن لسوء الحظ لا نستطيع الخروج ، والمفاتيح بقيت في جيب المجنون! ولكن هيا اسرعي إلى النافذة...

الصحفية : (تذهب وتنظر إلى الخارج) : هناك مجموعة من الناس متجمعة حول الرجل المسكين . هذا رهيب . كيف أمكن حدوث ذلك (تلتفت نحو الرئيس) هل لديك تصريح تدلي به أيها الرئيس ؟ (تعود فورا إلى دور الصحفية وهي تمسك بالميكروفون أمامه) .

الرئيس : حسنا ، لقد كنت قد غادرت الغرفة للتو...

الصحفية : ما الذي تتحدث عنه ؟ كيف أمكنك الخروج اذا كنت مقيدا هنا إلى المشجب ؟

الرئيس : آه ، نعم ، أنت على حق . لقد اختلطت عليَّ الأمور... أنا أخلط بين هذه المرة وتلك...

المفتش : على أية حال أنت شاهدة على سقوط ذلك الرجل المسكين . نحن لا نحمل أية مسؤولية أو ذنب!

الصحفية : بكل تأكيد ، فأنتم مقيدون ، كما كنتم... والآن عليَّ أيضا أن أعيد النظر في آرائي حول تلك السقطة الأخرى .

المفتش والرئيس : بحق السماء ، كل شخص يمكنه أن يرتكب خطأ ما .
(يستمر الرئيس في الكلام) : أعتقد أنه في هذه الحالة يمكننا أن نعزو الدافع إلى «الرابتوس الذي سببه الظلام» ، أي أن الظلام المفاجئ قد أخاف الرجل المجنون ، وكان المصدر الوحيد للنور ، رغم ضعفه الشديد ، قادما من النافذة ، وقد رمى بنفسه نحوها

كفراشة مجنونة ، فسقط على الأرض .

الصحفية : طبعا وما كان ممكنا لذلك أن يحدث سوى هكذا . الأفضل أن أسرع إلى الصحيفة لأقدم تقريري عن الحادثة .

الرئيس : نعم ، هيا ، هذا صحيح . (الجميع يصافحون الصحفية بأيديهم اليسرى) مع السلامة .

المفتش : تشرفنا بمعرفتك... واذا كنا نستطيع تقديم يد العون اليك مرة أخرى ، نحن في خدمتك دائما .

برتوتسو : مع السلامة يا سيدتي . (وبينما هو يقول ذلك يخرج يده من القيد دون أن يدري ويمدها إلى الصحفية ، يقبل يدها ثم يعيد يده إلى القيد . تلاحظ الصحفية ذلك وتقف هناك لحظة وهي مضطربة . المفتش يضربه ، الصحفية تستجمع نفسها) .

الصحفية : شكرا مرة أخرى ، وداعا ، جميعا! (تخرج وهي تدير المفتاح الذي بقي في القفل)

برتوتسو : لماذا ضربتني ؟ أنت تظن أنه يتوجب عليَّ أن لا أُقَبِّلَ يدها لأنها غير متزوجة ؟ أنت كثير التدقيق .

(يفتح الباب على آخره ، ويكشف مرة أخرى عن الممثل الذي لعب دور الأبله . الآن له لحية سوداء كثة جدا ، وكرش كبير وأسلوب صارم . يحمل حقيبة) .

الرجل الملتحي : هل أقاطعكم ؟ أنا أبحث عن مكتب المفتش... مفتش القسم السياسي الأول .

الجوقة : أنت مرة أخرى!

الرئيس : ولكن ألم تتحطم عندما سقطت على الأرض... ؟

الشرطي : ما هذا الشخص ، قطة ؟

برتوتسو : لقد وضع لحية مزيفة وشاربا مزيفا حتى... كما أنه وضع كرشا .

المفتش : هذه المرة سأنتف لحيتك واحشو بها فمك!

(يهاجمونه وهم يجرون المشجب كله معهم) .

الرجل الملتحي : (يصرخ) : حبا بالله!! ما الذي تعتقدون أنكم تفعلونه ؟!

(يضرب بهم على الجدار الأيمن)

المفتش : ولكنها ليست مزيفة!!! إلاّ اذا كان قد زرع كل شعرة منها على حدة!

برتوتسو : نعم ، كما أن كرشه حقيقي أيضا!

الرئيس : أرجو أن تعذرني ، لقد خلطنا بينك وبين شخص آخر... أنت تشبهه كثيرا!

الرجل الملتحي : لقد صرحت بذلك! هل أنتم معتادون على نتف ملء قبضاتكم من الشوارب واللحى وعلى ضرب كل قاض في بطنه ؟ اذ يدخل إلى هنا للتحقيق ؟

المفتش : قاض وللتحقيق ؟

الرئيس : انت قاض ؟

الرجل الملتحي : نعم ، هل لي أن أسأل ما الذي يزعجكم إلى هذا الحد ؟ أنا قاض من المحكمة العليا ، واسمي هو انطونيو غراسينيتي وأنا هنا لأعيد فتح التحقيق في حادثة مقتل شخص فوضوي ، هل لنا أن نبدأ على الفور ؟

(يجلس ويخرج عددا من المصنفات من حقيبته)

(ينهار رجال الشرطة الأربعة على الأرض ، في وضعية الجلوس ، وبذلك فهم يسقطون طبعا مشجب المعاطف

الذي مازالوا مقيدين اليه)

الجوقة : نعم ، نعم ، فلنبدأ على الفور!

(تعتم الأضواء . موسيقى)

النهــــــاية

داريو فو نوبل ١٩٩٧

- ولد داريو فو في ١٩٢٦ في سان جانو ، إحدى قرى إقليم فاريزي المتاخم لسويسرا .
- في ١٩٤٠ انتقل إلى ميلانو لدراسة التصوير في أكاديمية بريرا ، وفي الوقت نفسه التحق بكلية الهندسة في جامعة التكنولوجيا . لكنه توقف عن الدراسة الجامعية قبل الحصول على الشهادة الجامعية ليطلق العنان للفنان في نفسه .
- في الفترة من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٥١ عمل في تصميم الديكور المسرحي وتنفيذه .
- في عام ١٩٥١ قدّم مع الممثل الجماهيري فرانكو بارنتي عرضاً بعنوان «سبع أيام في ميلانو» .
- في الفترة ١٩٥٣/ ١٩٥٥ ألف وأخرج أول نصين «الإصبع في العين» و«أصحاء مجانين» بالاشتراك مع فرانكو بارنتي وزوجته فرانكا رامه .
- في عام ١٩٥٥ انتقل مع أسرته إلى روما . وفي ١٩٥٦ مثّل من تأليفه فيلم «المفكوك» بالاشتراك مع فرانكا رامه . وفي العام نفسه كتب سيناريوهات «مستقبل ايطاليا» و«مولودة في مارس» .
- في ١٩٦٢/ ١٩٦٣ قدّم وأخرج مسلسله التلفزيوني الأول «من الذي رآه» ، وأعقبه بـ «أغنية رائعة» يتوقف بعدهما عن العمل احتجاجاً على الرقابة .
- في عام ١٩٦٨ أنشأ «المسرح الجمعي» بالاشتراك مع زوجته وبدعم من الحزب الشيوعي الايطالي.

ISBN => 2-84305-197-5
EAN => 9782843051975